

مُصطفى مُحَمَّد

الإِسْلَام ..
ما هُو ..؟

الدين ... ما هو ؟؟

الدين ليس حرفه ولا يصلح لأن يكون حرفه .
ولا توجد في الإسلام وظيفة اسمها رجل دين .
ومجموعة الشعائر والمناسك التي يؤديها المسلم يمكن أن تؤدي
في روتينية مكررة فاتحة خالية من الشعور ، فلا تكون من الدين
في شيء .

وليس عندنا زى اسمه زى إسلامى .. والجلباب والسروال
والشعروخ واللحية أعراف وعادات يشترك فيها المسلم واليوزى
والمجوسى والدرزى .. ومطربو الديسكون والمسيحي لحاظم أطول ..
وأن يكون اسمك محمدأ أو عليأ أو عنمان ، لا يكفى لتكون
مسلمأ .

وديانتك على البطاقة هي الأخرى مجرد كلمة .
والسبحة والتمتمة والمحممة ، وسمت الدراوش وتهليلة

والنظام والجدية في كل شيء .. هو حقيقة الدين .
إنما تأتي العبادات والطاعات بعد ذلك شواهد على هذه المالة
القلبية .. لكن الحالة القلبية هي الأصل .. وهي عين الدين وكفره،
وجوهره .

وينزل القرآن للتعریف بهذا الملك العظيم .. ملك الملوك ..
وبأسمائه الحسنى وصفاته وأفعاله وأياته ووحدانيته .
ويأتي محمد عليه الصلاة والسلام ليعطي المثال والقدوة ،
وذلك لتوثيق الأمر وقام الكلمة .
ولكن يظل الإحساس بالغيب هو روح العبادة وجوهر
الأحكام والشرع ، وبدونه لا تعني الصلاة ولا تعنى الزكاة
 شيئاً .

ولقد أعطى محمد عليه الصلاة والسلام القدوة والمثال للمسلم
الكامل ، كما أعطى المثال للحكم الإسلامي والمجتمع
الإسلامي .. لكن محمداً عليه الصلاة والسلام وصحابه كانوا
مسلمين في مجتمع قريش الكافر .. فيبيئة الكفر . ومناخ الكفر
لم يمنع أيّاً منهم من أن يكون مسلماً تاماً الإسلام .

وعلى المؤمن أن يدعو إلى الإيمان ، ولكن لا يضره ألا يستمع
أحد ، ولا يضره أن يكفر من حوله ، فهو يستطيع أن يكون
مؤمناً في أي نظام وفي أي بيئه .. لأن الإيمان حالة قلبية ، والدين
شعور وليس مظاهرة ، والمبصر يستطيع أن يباشر الإبصار ولو

المشايخ أحياناً يباشرها الممثلون بإجاده أكثر من أصحابها .
والرأيـات واللافـات والمجـامر والـمـاـخـر والـجـمـاعـات الـديـنـيـة
أحيـاناً يختـفي وراءـها التـآـمـر والـمـكـر الـسيـاسـي والـفـتن والـثـورـات
الـتـي لا تـمـت إـلـى الدـين بـسـبـبـ .

ما الدـين إـذن ... ؟!
الـدـين حـالـة قـلـبـية .. شـعـور .. إـحـسـان باـطـنـي بـالـغـيـب ..
إـدـراكـ بـهـمـ ، لـكـنـ معـ إـيـاهـهـ شـدـيدـ الـوضـوـنـ .ـ بـأـنـ هـنـاكـ قـوـةـ خـفـيـةـ
حـكـيـمـةـ مـهـيـمـةـ عـلـىـ تـدـبـرـ كـلـ شـيـءـ .ـ
إـحـسـاسـ تـامـ قـاـهـرـ بـأـنـ هـنـاكـ ذـاتـاـ عـلـىـ ..ـ وـأـنـ الـمـلـكـةـ هـاـ
مـلـكـ ..ـ وـأـنـ لـاـ مـهـرـبـ لـظـالـمـ وـلـاـ إـفـلـاتـ نـجـرـ ..ـ وـأـنـ حـرـ
مـسـئـولـ لـمـ تـوـلـ عـبـثـاـ وـلـاـ تـحـيـاـ سـدـىـ وـأـنـ مـوـتـكـ لـيـسـ نـهـاـيـةـكـ ..
وـإـنـماـ سـيـعـبـرـ بـكـ إـلـىـ حـيـثـ لـاـ تـعـلـمـ ..ـ إـلـىـ غـيـبـ مـنـ حـيـثـ جـتـ
مـنـ غـيـبـ ..ـ وـالـوـجـودـ مـسـتـمرـ .ـ

وهـذاـ إـحـسـاسـ يـوـرـثـ الرـهـةـ وـالـتـقـوىـ وـالـوـرـعـ ،ـ وـيـدـفـعـ إـلـىـ
مـرـاجـعـةـ النـفـسـ وـيـحـفـزـ صـاحـبـهـ لـأـنـ يـبـدـعـ مـنـ حـيـاتـهـ شـيـئـاـ ذـاـ قـيـمـةـ
وـيـصـوـغـ مـنـ نـفـسـهـ وـجـوـدـاـ أـرـقـىـ وـارـقـىـ كـلـ لـحـظـةـ مـتـحـسـبـاـ لـلـيـوـمـ
الـذـىـ يـلـاقـىـ فـيـهـ ذـلـكـ الـمـلـكـ الـعـظـيمـ ..ـ مـالـكـ الـمـلـكـ .ـ
هـذـهـ الـأـزـمـةـ الـوـجـودـيـةـ الـمـتـجـدـدـةـ وـالـمـعـانـةـ الـخـلـاقـةـ الـمـبـدـعـةـ
وـالـشـعـورـ الـمـتـصـلـ بـالـخـصـورـ أـبـدـاـ مـنـذـ قـبـلـ الـمـيـلـادـ إـلـىـ مـاـ بـعـدـ
الـمـوـتـ ..ـ وـإـحـسـاسـ بـالـمـسـئـولـيـةـ وـالـشـعـورـ بـالـحـكـمـةـ وـالـجـمـالـ

إنما تكون الصلاة صلاة بسبب هذا الشيء الذي في القلب .
 وإنما تكتسب الصلاة أهميتها القصوى في قدرتها على تصفية
القلب وجمع الهمة وتحشيد الفكر وتركيز المشاعر .
 وكثرة الصلاة تفتح هذه العين الداخلية وتوسيع هذا النهر
 الباطنى ، وهى الجمعية الوجودية مع الله التي تعبّر عن الدين
 بأكثـر ما يعبر أى فعل .

وهي رسم الإسلام الذى يرسمه الجسم على الأرض ،
 سجوداً ، وركوعاً وخشوعاً وابتهالاً ، وفناً .. يقول رب العالمين
 لنبيه :
 « اسجد واقترب » .

وبسجود القلب يتجسد المعنى الباطنى العميق للدين ، وتنعدد
 الصلة بأوثق ما تكون بين العبد والرب .
 وبالحس الدينى ، يشهد القلب الفعل الإلهي في كل شيء ..
 في المطر والجفاف ، في الهزيمة والنصر ، في الصحة والمرض ، في
 الفقر والغنى ، في الفرج والضيق .. وعلى اتساع التاريخ يرى الله
 في تقلب الأحداث وتدالوـل المقادير .

وعلى اتساع الكون يرى الله في النظام والتناسق والجمال ،
 كما يراه في الكوارث التي تنفجر فيها النجوم وتتلاشى في الفضاء
 البعيد .

وفي خصوصية النفس يراه فيها يتعاقب على النفس من بسط

كان كل الموجودين عمياناً ، فالإبصار ملكة لا تتأثر بعمى
 الموجودين ، كما أن الإحساس بالغيب ملكة لا تتأثر بفترة
 الغافقين ولو كثروا بل سوف تكون كثراً زادـة في ميزانها يوم
 الحساب .

إن العمدة في مسألة الدين والتدين هي الحالة القلبية .
 ماذا يشغل القلب .. وماذا يحول بالخاطر ؟
 وبم تتعلق الهمة ؟

وما الحب الغالب على المشاعر ؟
 ولأى شيء الأفضلية القصوى ؟
 وماذا يختار القلب في اللحظة الحاسمة ؟

وإلى أى كفة يميل الهوى ؟
 تلك هي المؤشرات التي سوف تدل على الدين من عدمه ..
 وهي أكثر دلالة من الصلاة الشكلية ، وهذا قال القرآن .. ولذكر
 الله أكبر .. أى أن الذكر أكبر من الصلاة .. برغم أهمية
 الصلاة .

ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام لصحابته عن
 أبي بكر .. إنه لا يفضلكم بصوم أو بصلاة ولكن بشيء وقر في
 قلبه .

وبهذا الشيء الذي وقر في قلب كل منا سوف نتفاصل يوم
 القيمة بأكثـر ما نتفاصل بصلة أو صيام .

ولا نجد غير الكذح كلمة تعبّر عن هذه المعاناة الوجودية
الخلاقة ، والجهاد النفسي صعدا إلى الله .

هذا هو الدين .. وهو أكبر بكثير من أن يكون حرفة
أو وظيفة أو بطاقة أو مؤسسة أو زيا رسميا .

وقبض ، وأمل وحلم ، وفيها يلقى في القلب من خواطر
واردات .. حتى لتكاد تتحول حياة العابد إلى حوار هامس بينه
 وبين ربِّه طول الوقت ..

حوار بدون كلمات ..

لأن كل حدث يجري حوله هو كلمة إلهية وعبارة ربانية ،
 وكل خبر مشيّة ، وكل جديد هو سابقة في علم الله القديم .
 وهذا الفهم للمشيّة لا يرى فيه المسلم تعطيلاً لحرفيته ، بل
 يرى فيه امتداداً لهذه الحرية .. فقد أصبح يختار بربِّه ، ويريد
 بربِّه ، ويخطط بربِّه ، وينفذ بربِّه .. فاته هو الوكيل في كل
 أعماله .

بل هو ييشى به ، ويتنفس به ، ويسمع به ، ويبصر به ، ويحيا
 به . وتلك قوة هائلة ومدد لا ينفد للعبد العارف ، كادت أن
 تكون يده يد الله وبصره بصره ، وسمعه سمعه ، وإرادته إرادته .
 إن نهر الوجود الباطني داخله قد اتسع للإطلاق .. وفي ذلك
 يقول الله في حديثه القدسى :
 « لم تسعنى سماواتي ولا أرضى ووسعنى قلب عبدى
 المؤمن » .

هذا التصعيد الوجودى ، والعروج النفسي المستمر هو المعنى
 الحقيقى للدين .. وتلك هي الهجرة إلى الله كدحاً .
 « يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربِّك كدحاً فملاقيه » .

أغمض عينيه وتجرد عن كل شيء حتى عن نفسه يلقيها هي الأخرى وراء ظهره ، ويخرج من جلده إلى حالة من المخلوس والمحو واللاشيء .. إلى راحة العدم ..

ويختار المبشر لكل واحد من أتباعه تسبحة يرددتها .. هي في العادة كلمات سنسكريتية لا تعنى بالنسبة للمربي أي شيء .. وسوف تعاون هذه التسبحة المربي على أن يخرج من نفسه أكثر ، ويتجرد من عالمه ويخرج من حضرة الهم والغم والتوتر إلى حضرة أخرى مجردة تكون فيها راحته وخلاصه .

إنها دعوة إلى نوع من السكتة العقلية التي تأخذ فيها النفس راحة وإجازة من معاناتها .. ورأيت مع المبشر كتبًا ونشرات وبحوثاً علمية وإحصائية تؤكد شفاء الكثيرين من ضغط الدم والذبحة واضطراب الهرمونات والصداع المزمن بعد مباشرة هذه الجلسات لمدة شهور .

وفي أحد هذه البحوث كان الطبيب يتبع ضغط دم المريض في أثناء جلسة الاسترخاء فتسجل الأجهزة انخفاض الضغط انخفاضاً ملحوظاً مع هبوط في تسارع النبض مع تغير في أخلاط الدم الكيميائية في اتجاه المزيد من التوازن .

وفي جلسة طويلة مع المبشر قال لي أنه ألقى عدة محاضرات في

الصلة

آخر صيحة في أمريكا الآن موضة جديدة اسمها (Transcendental Meditation) وترجمتها الحرافية هي الاستغراق التأملى التجدد .. وهى موضة وافدة من الهند وبدعة من بدع اليوجا .. وقد لاقت نجاحاً مكتسحاً في المجتمع الأمريكى شأنها شأن كل البدع الجديدة ، ووضعت فيها الكتب والممؤلفات ، وأقيمت المؤتمرات وأصبح لها أتباع بالملايين .. وأصبح لها رسل ودعاة ومبشرون ينطلقون إلى القارات الأربع ومعهم الكتب والنشرات للدعوة للمذهب .. وقد التقى به أحد هؤلاء المبشرين في نادى الجزيزة يحاول أن يدعو لمذهبه . والمذهب في اختصار شديد يدعى كل منا إلى أن يخصص بعض دقائق من يومه يطرح فيها عن نفسه كل الشواغل ، ويلقى عن باله كل المهموم ويستلقي في استرخاء كامل على كرسى وقد

تدعو إليها وزيادة .. فهى ليست مجرد سكتة عقلية ، بل صحوة قلبية وافتتاح وجداً تلقى فيه النفس شحنة جديدة من النور ونفحة من الرحمة ومدّ من التأييد الإلهي .

إنها لحظة خصبة شديدة الغنى ، تعيد صلة المؤمن بالنبع الخفي الذي يستمد منه وجوده .

إن الانفصال عن دنيا النقص والشر والتوتر يواكب الاتصال بعالم الكمال ومن هنا كان أثر الصلاة على المصل ماضعاً . وصلاتنا إذا صلاتها المسلم بحضور كامل ، واستغراق وفقاء واندماج ، فإنها تكون شفاء من كل الأمراض التي ذكرتها وأكثر .

إذا أجريت البحوث والفحوص على ما يحدث في أثناء الصلاة لضغط الدم والنبيض ، وتسجيل المخ الكربائي ، وأخلاط الدم الكيمائية ، لكشفت عن نتائج أكثر إبهاراً مما ذكرت في تمارينك .. ولكن للأسف لا أحد في أمريكا أو أوروبا يرى إسلامنا على حقيقته ولا أحد يحاول أن يبحث فيه .

وهذا سوف تظل صلاتنا الإسلامية كثراً مخفياً لا يعلم ما فيه إلا من باشره بحضور كامل .. يقول لنا الله « أقيموا الصلاة » ولا يقول صلوا .. لأن الصلاة الحقيقة إقامة تشتراك فيها جميع الأعضاء مع القلب والعقل والروح ..

وخطاً الأوروبي أنه يظن أن الصلاة « الإسلامية » هي مجرد

النادى مع تمارين توضيحية تشرح مذهبـه .. ولكنه اشتکى من عدم التجاوب بين المستمعين وأنه لم يلاق الصدى والنجاح الذى توقيعه .

وقلت له إن هذا أمر طبيعى ومتوقع .. فما تقوله وما تبشر به ليس أمراً جديداً على أسماعنا .. بل إننا نباشر هذه التمارين بالفعل كمسلمين خمس مرات فى اليوم .. فهى جزء من صلاتنا الإسلامية التي أمرنا بها نبينا عليه الصلاة والسلام ..

فالصلاحة عندنا تبدأ بهذا الشرط النفسي .. أن يتجرد المصل تماماً عن شواغله وهومه ، وأن يطرح وراءه كل شيء ، وأن يخرج من نفسه وما فيها من أطماع وشهوات وخواطر وهواجس هاتفاً .. الله أكبر .. أى أكبر من كل هذا ويضع قدمه على السجادة في خشوع واستسلام كامل وكأنما يخرج من الدنيا بأسرها ..

ولكن صلاتنا تمتاز على التمارين الذى تبشر به .. بأنها ليست خروجاً من دنيا التوتر والقلق إلى عالم المحو الكامل وراحة العدم .. بل هي خروج إلى الحضرة الإلهية .. إلى حضرة الغنى المطلق .. ونحن لا تستعين بتسابيق وطلاسم سنسكريتية لا معنى لها ، وإنما نسبح بأسماء الرحمن الرحيم مالك يوم الدين لنتمثل في قلوبنا تلك الحضرة الإلهية الجمالية التي ليس كمثلها شيء .

وقلت له إن صلاتنا تعطى المؤمن كل الراحة والإجازة التي

قيام الليل .. التي نال صاحبها بها المقام المحمود .
والصلاوة هي الرصيد المتاح من الرحمة لكل مسلم في البنك
الإلهي .. إن شاء أخذ منه وإن شاء ضل عنه وتكاسل فأضاع
على نفسه كسباً لا يقدر بمال ..
وما زالت الصلاة كنزًا مخفياً لا نعلم عن أسرارها إلا أقل
القليل ولا ينتهي في الصلاة كلام .

حركات وأنها على الأكثر مجرد اغتسال ورياضة « بدنية » ، وهذا
يقف عند ظاهر الأمر لا ينطليه ..
ويensi أن الحركات في الصلاة مجرد رمز فهي وقوف إكبار لله
مع كلمة آلة أكبر ، ثم ركوع ثم فناء بالسجدة وملامسة الأرض
خشوعاً وخضوعاً ، وبذلك تتم حالة الخلع والتجرد والسكنة
« الكاملة » النفسية .. ولا يبقى إلا استشعار العظمة لله
تسبيحاً .. سبحان رب الأعلى وبحمده .. سبحان رب الأعلى
وبحمده ..

« وسبحان » معناها ليس كمثله شيء ، وهو اعتراف بالعجز .
الكامل عن التصور .. ومعناها عجز اللغة وعجز اللسان وعجز
العقل عن وصف المحبوب .

وذلك ذروة « نفسية » في النجوى :
وذلك هي وقفة الأدب حينما بلغ جبريل سدرة المنتهى فلم
يستطيع أن ينطليها .. وقال لو تقدمت لا حترقت .
وليس بعد هذه الوقفة إلا التجليات والتنزلات للكمالين
الذين يؤهلهم التجدد الكامل لاستشراف الأنوار .

فالصلاوة هي المعراج الأصغر وهي نصيب المسلم من المعراج
الأكبر الذي عرج فيه محمد عليه الصلاة والسلام إلى ربه .
وهي ليست مجرد حركات .. بل هي أسرار ورحمات .
وأشرفاها وأرفعها صلاة الفجر التي تشهدها الملائكة .. صلاة

ما تحب وتحمل ما تكره .. أما إذا كان كل هك هو الانقياد
لجوعك وشهواتك فأنت حيوان تحرك حزمة برسيم وتردعك
عصا .. وما لهذا خلقنا الله ..

الله خلق لنا الشهوة لتنسلق عليها مستشرفين إلى شهوة
أرفع .. نتحكم في الهياج الحيواني لشهوة الجسد ونصلع إليها
لنكتفى بتلذذ العين بالجمال ، ثم نعود فتنسلق على هذه الشهوة
الثانية لتنلذذ بشهوة العقل إلى الثقافة والعلم والحكمة ثم نعود
فتنسلق إلى معراج أكبر ل تستشرف الحقيقة ونسعى إليها ونموت في
سبيلها ..

معراج من الأسواق أدناها الشوق إلى الجسد الطيفي وأرفعها
الشوق إلى الحقيقة والمثال .. وفي الذروة .. أعلى الأسواق لرب
الكلمات جميعها . الحق سبحانه وتعالى ..
يقول الله في حديثه القدسى :

« يابن آدم خلقتك لي وخلقت الأشياء لك فلا تشتعل بما هو
للك عما أنت له ». ..

ولهذا سخر الله لنا الطبيعة بقوائينها وثرواتها وكتوزها ،
وجعلها بفطرتها تطاؤعنا وتخدمنا فنحن لم نبذل مجهوداً كبيراً
لنجعل الجمل يحمل أثقالنا ، أو الكلب يحرس بيارنا ، أو الأنعام
تنفعنا بفرايئها ولحومها وجلودها .. وإنما هكذا خلقت مسخرة
طائعة .. وإنما العمل الذي خلقنا الله من أجله والتوكيل الذي

الصيام

الصيام من الشعائر القدية المشتركة في جميع الأديان .
وهوا الجدل دائمًا يسألون .. كيف يخلق لنا الله فناً وأسناناً
وبعلوماً ومعدة لتأكل ثم يقول لنا صوموا .. كيف يخلق لنا الجمال
والشهوة ثم يقول لنا غضوا أيصاركم وتعفوا .. هل هذا
معقول ..

وأنا أقول لهم بل هو المعقول الوحد .. فالله يعطيك الم Hasan
لتركه لا ليركبك .. لتقوده وتخضعه لا يقودك هو ويخضعك ..
وجسمك هو حسانك المخلوق لك لتركه وتحكمه وتقوده
وتلجمه وتستخدمه لفرضك ، وليس العكس أن يستخدمك هو
لفرضه وأن يقودك هو لشهواته ..

ومن هنا كان التحكم في الشهوة وقيادة الهوى وبلجام المعدة هي
علامة الإنسان .. أنت إنسان فقط في اللحظة التي تقاوم فيها

كلفنا .. هو أن نركب هذه الدواب مهاجرين إلى الهدف .. إلى
آله .. إليه وحده في كماله ..

﴿ بِأَيْمَانِهِ الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادَحَ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَقَهُ ﴾
﴿ وَمَا خَلَقْتَ الْجِنَّ وَالإِنْسَنَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ﴾ .
ونعبدة لا تكون إلا عن معرفة .

فخلية رحلة تعرُّف على الله وسوف يؤدي بنا التعرف على الله
وكمالاته إلى عبادته .. هكذا بالفطرة ودون مجهد ، وهل نحتاج
إلى مجهد لنعبد الجميلة حباً ..

إنما تتکفل بذلك الفطرة التي تجعلنا نذوب لحظة التطلع إلى
وجهها ، فيما بالنا لحظة التعرف على جامع الكمالات والذي هو
نبع الجمال كله .. إنما نفني حباً .

وما الصيام إلا التعرير الأول في هذه الرحلة

إنه التدريب على ركوب الفرس وترويضه وتطويعه بتحمل
المجموع والمشقة وهو درس الانضباط والأدب والطاعة .

وهذه المعانى الراقية « الجميلة » ليس منها ما نعرف في صيام
اليوم من فوازير ونكبات وهزليات وصوانٍ ومكسرات وسهرات .
 وإنما الصائم يفرغ نفسه للذكر وليس للتليفزيون .. ويخلو
للصلوة وقيام الليل وتلاوة القرآن وتدارس معانيه وليس للرقص

وترديد الأغانى المكشوفة .
وقد كان رمضان دائماً شهر حروب وغزوات واستثنى في
سبيل الله .

كانت غزوة بدر في رمضان .. كما كانت حرب الت Zar في
رمضان .. وحرب الصليبيين في رمضان .. وحرب إسرائيل في
رمضان .

ذلك هو الصيام الرفيع .. ليس بطلاً .. ولا نوماً بطول النهار
وسهراً أمام التليفزيون بطول الليل .. وليس قياماً متکاسلاً في
الصباح إلى العمل .. وليس نرفزة وضيق صدر وتوترًا مع
الناس .. فالله في غنى عن مثل هذا الصيام ، وهو يرده على
صاحبه ولا يقبله ، فلا ينال منه إلا الجوع والعطش .
إنما الصيام هو ركوب لداية الجسد لتکدح إلى الله بالعمل

الصالح والتقول الحسن والعبادة الحقة .

وسائل نفسك عن حظك من كل هذا في رمضان وستعلم إلى
أى حد أنت تباشر شعيرة الصيام .

الزكاة

كان من عادة إخواننا الشيوعيين حينما يذكر موضوع الزكاة أن يبتسم الواحد منهم في سخرية وكأنما وجد الثغرة التي ينفذ منها ، فالزكاة عنده هي الحل المخجل لمشكلة العدل الاجتماعي ، فالعدل لا يعالج بالتسول وبتوزيع الصدقات ، وإنما بالبتر والاستئصال والنکال والتنكيل بالمستغلين الظالمين ، ونزع أصحاب المال وأصحاب الأرض من جذورهم بانقلاب شيوعى يصحح الأوضاع ، وهذا التوصيف الشيوعى للزكاة خاطئ .

ولكن نبرة العنف في كلام الرفاق تذكرني دائمًا برأى قاله المفكر الإسلامي المغربي الدكتور المهدى بن عبود : إن الشيوعية ليست نظرية وليس لها مذهبًا وليس فكرًا كل هذا تويه ، ولكن الشيوعية في الحقيقة طبع .. الشيوعية غل وحدق وضفن وطبيعة

تاریة تنزع بصاحبها إلى طلب النکال والتنكيل والإذلال والسلط ، وهم لا يرون إصلاحاً إلا أن يكون بغير استصالاً دموياً وقلباً لكل شيء من القواعد ، وهي طبيعة تلتمس دائمًا المذهب الذي يساعدها ، ومن هنا كان اختيارهم للشيوعية لا عن اقتناع ولا عن منطق ولا عن عقل ، ولكن عن طبع ، وهم أنفسهم الذين اختاروا فيها مذهب الخوارج والقرامطة والخرمية ، وهم أنفسهم الذين اختاروا فيها بعد التكfir والهجرة ، لأنه يشبع فيهم نفس الطبيعة .

ثم نعود إلى تصور الرفاق عن الزكاة ونقول لقد فهموها خطأ ، فليست الزكاة هي تفضل من الغنى يلقى به للفقير من باب حسنة الله يا محسنين ، ولديت صدقة لمتسول ، بل هي حق يؤخذ من خير مال القادر ، ويصل إلى يد المح الحاج في كرامة ودون أن يسأل أو يد يدًا ، فما يصل إليه حق وليس تفضلا ، وحكمه حكم الضريبة التي تؤخذ بقانون وتنفق بقانون .

ثم إن الإنفاق ليس له حد أقصى فهو في حد الأدنى اثنان ونصف في المائة ، وتلك هي الزكاة المفروضة ، ولكنه مفتوح في حد الأقصى إلى ما شاء الله وما شاء كرم المعطى وإيمانه .
﴿ ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ﴾ .

أى كل ما تراه زائدًا عن حاجتك حتى ٩٩ في المائة مما تملك إذا اعتبرت أن حسابك لقائك وثوبك وكفافك والباقي لله فهي

واستثمارها لصالح الطبقة الفقيرة ، ولخلق المشاريع لتشغيل الأيدي العاطلة وبناء الصناعات . والارتفاع بالتعليم كفيل بأن يغير وجه الحياة دون عنف ودون قهر ودون نكال أو تحكيل .. هكذا تلتقي الأيدي في محبة وتعاون وتكافل فينشر الخير مزيداً من الخير ، أما العنف الشيوعي فلن يشعر إلا عنفاً ، ولن يشعر القهر إلا رفضاً وكسلاً ولا مبالاة ، ولن ينمر التسلط إلا يأساً وسلبية وينتهي الأمر بأن ينقض كل واحد يده من كل شيء ، ويقول لتفعل الدولة ما تريد ، ولكن الدولة في الشيوعية ليست كائناً حياً سوياً ، وإنما هي ديناصور ومسخ شائه من القوى البوليسية والشعب الخائف المذعور ، ثم طواغيت ومرآكز قوى تعمل طليقة باسم الحزب وتظلم وتستغل ، وتهب كما تشاء باسم الحزب ، وتغطى جرائمها بالشعارات والأكاذيب والإعلام .
الموجه .

وشتان بين هذا التكوين الاجتماعي المتشنج وبين التكوين المناسب للمجتمع الإسلامي الذي يعمل فيه الكل مؤمنين بأن العمل عبادة ، وأن الإنفاق تعامل شخصي مع الله ، وأن الصدقة تقع أولاً في يد الله قبل أن تقع في يد الفقير ، وأن علاج المريض عبادة ، وإقامة جدار عبادة ، وإنشاء كوبى عبادة .. وأن المعروف لا يضيع والعمل الصالح لا يذهب سدى ، وأن الملك له مالك ، وأن في النساء إلهًا عادلاً عدله لا يختلف ، وكل هذا يشعر

تجارة مع الله وتعامل مع الخالق وليس تفضلاً على الخلق ، ولكن مثل هذا الإنفاق الزائد ، لا يكون إلا تطوعاً و اختياراً من صاحبه وليس فرضاً من أحد ، وهي من حيث اسمها « زكاة » ، فهي تركة لصاحبها وتظهر له .. يتظاهر بها من الشح والبخل والأنانية فالمتتفع الأول منها صاحبها .

والصدقات أو ساخ الناس كلما أنفق من ها تظاهرت وصفت نفسك من تعلقاتها المادية الأرضية .

ولا ينقص مال من صدقة ، وما أنفق من مال فإن الله مختلفه قد يخلفه الله مالاً أو صحة أو رحمة أو ذرية صالحة أو نجاحاً أو توفيقاً ، ولكن لا بد من أن يثبت الله فاعل الخير دنياً وأخره هذا قانون إلهي لا يختلف ويعرفه تماماً الذين يقبلون على الزكاة ويتنافسون فيها والله لا يخلف وعده أبداً .

والزكاة تلطف الحقد وتكسر العين الحاسدة وتولف القلوب ، لأنها مال حلال يخرج من صاحبه حباً وكرامة وطوعية يصل إلى المستحق دوناً منْ ولا أذى .

وإذا دخلنا في نصاب الزكاة ، زكاة الشركات وزكاة البنوك ، وزكاة المؤسسات التجارية ، وزكاة الدول التي خصها الله بالموارد والثروات ، فإن مجموع النصاب الناتج سيتجاوز المليارات عدداً ، وسيصبح في طاقته أن يغير موازين الاقتصاد الموجودة تماماً . ثم إن إنفاق هذه المليارات بأسلوب عصري

وَقَنِيَ اللَّهُ فَأُعْطِيَتِ مَا أُعْطِيَتِ ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ . وَآخَرُ يَقُولُ :

« اجتهدتْ مِنْ عَنْدِي وَنَفَقْتُ وَأُعْطِيَتِ » .

فَأَحَدُهُمَا لَا يَرَى إِلَّا اللَّهُ وَالْآخَرُ لَا يَرَى إِلَّا نَفْسَهُ .. وَهَذَا يَنْتَهِي عَمَلُهُ إِلَى الإِحْبَاطِ أَمَّا الْعَمَلُ الْأُولُ فَإِنَّهُ شَرٌّ، بِكَرْمِهِ وَيَحْفَظُهُ بِرَعَايَتِهِ .

وَتِلْكَ هِيَ الزَّكَاةُ .. مِرْهَمًا وَبِلَسْمًا وَمَلْطَفًا وَسَنَةً مَلْنَفْسٍ ، وَطَهْرَةً لِلْقَلْبِ ، وَهِيَ تَعْمَلُ مَعَ اللَّهِ رَأْسًا دُونَ وَسَنَةٍ ، وَإِيمَانٍ بِالْغَيْبِ وَثَقَةً فِي الْمُقْدُورِ ، وَيَقِينٌ بِقَوَانِينِ الْعَدْلِ إِنْهِيَ الَّتِي لَا تَتَخَلُّفُ ، وَهِيَ شَيْءٌ آخَرُ تَكَامِلًا غَيْرَ مَفْهُومٍ شَعْرَةً لِلْاجْتِمَاعِيَّةِ فِي الْمَجَمِعِ الْفَرْبِيِّ وَقَدْ يَسَّأَلُ سَائِلٌ فَيَقُولُ أَنْتَ بِرَهَا عَمَلاً صَالِحًا ..

فَنَقُولُ نَعَمْ مَعَ فَارِقٍ كَبِيرٍ فِي الْعِرْفَانِ ، فَنَسْتَ في الزَّكَاةِ لَا تَعْرِفُ لَكَ يَدًا لَا تَرَى لَكَ يَدًا ، لَا تَرَى إِلَّا يَدَهُ سَبِيعَانَهُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .

أَمَّا فِي الْمَعْوَنَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ بِالْكُوْمِبِيُّوتِرِ فَلَا تَرَى إِلَّا الْوَرْقَةُ الْمَرْقَمَةُ الْمَخَارِجَةُ مِنَ الْكُوْمِبِيُّوتِرِ ، لَا تَرَى إِلَّا يَدُكُّ دَمًا تَبَذَّلُ .. وَعَلَى الْأَكْثَرِ لَا تَرَى سُوَى إِنْسَانِتِكَ .

وَالْفَرْقُ فَرْقُ عِرْفَانِيِّ .
وَهُلْ الدِّينُ كُلُّهُ إِلَّا هَذِهِ الْكَلْمَةُ الصَّغِيرَةُ دَاتُ الْمَحْرُوفِ
الْقَلِيلَةِ .. الْعِرْفَانِ .. ؟ وَهُلْ طَلَبَ اللَّهُ مِنْ نَبِيِّهِ سُرِّ الْعِرْفَانِ ؟

سَكِينَةً وَرَضَاً وَرَاحَةً قَلْبٌ تَسَاوَى الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .
فَأَيْنَ هَذَا مِنْ حَالِ مَجَمِعَاتِ الْوَفَرَةِ وَالْفَنِّيَّ الَّتِي يَنْتَهِي
أَصْحَابُهَا بِرَغْمِ الْوَفَرَةِ ، وَتَرْتَفَعُ فِيهَا إِحْصَاءَتِ الْجَنُونِ
وَالْأَمْرَاضِ النُّفْسِيَّةِ وَالْقَلْقِ وَالْأَكْتَابِ بِرَغْمِ الْفَنِّيِّ ، وَتَتَحَلَّلُ
الْأَسْرَ وَتَفَكَّكُ الْعَائِلَاتُ وَتَنْتَشِرُ الْمَخْدِرَاتُ وَالشَّذِوذُ الْجَنْسِيُّ
وَالْجَرَاثِيمُ وَالْسَّرْقَاتُ ، بِرَغْمِ الْعِلْمِ وَالْتَّكْنُولُوْجِيَا وَالتَّقدِيمِ
وَتَضَاعُفُ أَعْدَادِ مَوَاكِزِ الْبَولِيسِ وَأَقْسَامِهِ ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا تَشْعُرُ
بِلَحْظَةِ أَمْنٍ وَلَا تَسْتَطِعُ أَنْ تَخْرُجَ دُولَارًا مِنْ جِبِيكَ ، وَلَا أَنْ تَنَامَ
دُونَ أَنْ تَغْلِقَ الْمَزاَبِيجُ وَالْتَّرَابِيسُ خَلْفَ يَابِكَ .

لَأَنَّهَا مَجَمِعَاتٌ مَادِيَّةٌ كُلُّ مَلِيمٍ فِيهَا مُحْسُوبٌ بِالْكُوْمِبِيُّوتِرِ ، ثُمَّ
لَا اعْتَبَارٌ عَنْهَا لَأَى شَيْءٍ آخَرُ .. أَوْ بِشَكْلِ أَدْقٍ . لَا تَؤْمِنُ بِأَنَّ
هُنَّاكَ شَيْئًا آخَرَ خَارِجَ الْلَّحْظَةِ الْمَحَاضِرَةِ وَالْدُّولَارِ الَّذِي فِي
جِبِيكَ .. لَا حِسَابٌ لِشَيْءٍ اسْمُهُ الْغَيْبُ وَلَا اعْتِقَادٌ فِي إِلَهٍ .
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ لَا يَدْخُلُونَ هَذَا الْإِيمَانَ فِي حِسَابِ
الْكُوْمِبِيُّوتِرِ ، وَهُمْ هُنَّا يَسْتَبِدُونَ الزَّكَاةَ بِشَرْكَاتِ التَّأْمِينِ
وَمَعَاشَاتِ النَّقَابَاتِ وَبَدْلَاتِ الْبَطَالَةِ ، وَكُلُّهُمْ صَدَقَاتٌ ، وَلَكِنْ
ذَاتُ مَنْطَقَةِ مُخْتَلِفٍ ، فَهُنَّ لَا تَعْطِي لِوَجْهِ اللَّهِ ، وَإِنَّمَا اجْتَهَادُ
عَلَمِيٍّ مِنْ عَنْدِ سَاحِبِهِ .. وَلِسَانُ حَالٍ كُلُّ مِنْهُمْ يَقُولُ :
﴿ إِنَّمَا أُوتِيَتِهِ عَلَى عِلْمٍ عَنْدِي ﴾ .

وَفَارِقٌ كَبِيرٌ فِي النِّيَّةِ وَالصَّفَائِيَّةِ بَيْنَ الْعَمَلَيْنِ فَأَحَدُهُمَا يَقُولُ :

فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك .

وهل يفترق مؤمن عن كافر إلا بهذه المعرفة ، الذين يرجون أيام الله ، والذين لا يرجون أيام الله ، والذين يوقنون بالأخرة والموقف والحساب . والذين لا يؤمنون إلا بيومهم ولحظتهم .. صدقوني إن كلمة الزكاة تعنى الكثير ..

الحج

الجمعة .. الشمس تنحدر إلى المغيب على جبل عرفات .
 الجبل مزروع بالخيام .. مليون وخمسة ألف حاج يحطرون
 عليه كالحمام في ثياب الإحرام البيض .. لا تعرف الواحد من
 الآخر .. لا تعرف من الفقير ومن الغنى .. ولا تعرف من
 التركي ومن العربي ؟ .

اختفت الجنسيات .. واختفت الأزياء المميزة واختفت
 اللغات .. الكل يلهم بلسان واحد .. حتى الجاوي والصومالي
 والأندونيسي والزنجي والأذرييجانى الكل يتكلم العربية ..
 بعضهم ينطقها مكسرة وبعضهم ينطقها بلكتة أجنبية .. وبعضهم
 يمد بعض الحروف ويأكل بعض الحروف ولكنك تستطيع أن تفهم
 من الجميع وتستطيع أن تسمع أنهم يهتفون .. ليك اللهم ليك .
 والذين لا يعرفون العربية تراهم قد التفوا حول مطوف

ମୁହଁରେ କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା

ପାଇଁ କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା

ଶ୍ରୀ ମହାଦେଵ ପାତ୍ର

ଶ୍ରୀ କୃତ୍ୟା

ମୁହଁ କାହିଁ କାହିଁ କାହିଁ କାହିଁ କାହିଁ କାହିଁ କାହିଁ କାହିଁ କାହିଁ

‘କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା

Digitized by srujanika@gmail.com

جَاءَهُ لِلْعَزِيزِ وَالْمُكَبِّرِ إِنَّمَا يَعْلَمُ مَا
فِي الْأَرْضِ إِنَّمَا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

କାନ୍ତିର ପଦମାଲା ପଦମାଲା

፩፻፲፭ ዓ.ም. ከፃ. ተ. ስ. የፌትሬ የፌትሬ የፌትሬ የፌትሬ

هذا كان ديكوراً من ورق اللعب .. من إختیش المطلي والديبور

المغروس . لا أحد قوي ولا أحد غافر .

إنما هي لحظات من القوة تعنيها لحظات من الضعف يتدوّلها

الناس على اختلاف طبقاتهم . لا أحد لم يعرف لحظة انتز ، ولحظة الضعف ، ولحظة

الغروف ، ولحظة الفلق .

من لم يعرف ذل الفقر ، عرف ذل المرض ، أو ذل المحب أو تعاسة الوحدة ، أو حزن فقد ، أو عار الفضيحة أو هوان

الفشل أو خوف المزية .

بل إن خوف الموت يلحق فوق روسنا جميعاً .

كنا نقراء إلى الله وهو يولد عمولاً وينهض إلى قبره

محولاً وين بين الميلاد والموت يوماً باليوم مرات ومرات .

وأين الأبطال والأكابر والقياصر ؟

سألني صديقي وهو رجل كبير الشك :

- وما السر في ثياب الإحرام البيضاء وضوره ليسها على

اللحم وغريم ليس المخيط .. وما معنى رجم إبليس والطراف

حول الكعبة .. إلا ترى معنى أنها يقایا وتنیة .

قلت له : أنت لا تكتفى بأن تحب حبيبك حباً عذرياً

أفالطونيا ، وإنما تريد أن تعبر عن حبك بالفعل .. بالعقلية

ويستجذب بعشرات الأدوية والعقاقير ، ويجمع حوله الأطباء فلا يفعل له العلم ولا الطب شيئاً .. وكأنوا يقولون لنا في كلية الطب على سبيل السخرية .. إن الأنفلونزا تشفي في سبعة أيام بدون علاج .. وفي أسبوع إذا استخدمنا العلاج .

والأنفلونزا مرض بسيط .. تافه .. هي مثل من ألف مثل لضعف الإنسان وواجهه وفقره المتفقى بها كرت في يده الأموال وتعددت الأسباب .

من هنا ليس فقيراً إلى الله وهو يولد عمولاً وينهض إلى قبره

هم وإيمراطوريتهم آثار .. حفاظ .. خرافات تحت الرمال .

الظلم والمظلوم كالهماء رقداً معاً .

وهم يعرفون هذا جيداً .. ويشعرون بهذا تماماً ، وهذا

يكون .. ويندوبون خشنوعاً ودموعاً .

وأين الأباطرة والأكابر والقياصر ؟

والقاتل والقتيل لقياً معاً نفس المصير .

والمنتصر والهزيم كلامها توسداً التراب .

انتهى الغرور .

انتهت القوة .. كانت كذلك كلذبة .

ذهب النبي .

لم يكن غني .. كان وهما .

العروش والتبعان والطبالس والخنزير والديجاج .. كل

﴿ أخلع نعليك إنك بالوادى المقدس ضوى ﴾ .

هو التجرد المناسب لجلال الموقف .

وهذا هو الفرق بين لقاء لرئيس جمهورية .. ولقاء مع المخالق .

فنحن نرتدي لباس التشريفة لتقابل رئيس الجمهورية .

أما أمام الله فنحن لا شيء .. لأنكاد نساوى شيئاً .

وعلينا أن نخلع كل ثياب الغرور وكل الزينة .

قال صديقي في خبث : ورجم إبليس :

قلت :

- أنت تضع باقة ورد على نصب تذكاري للجندي المجهول ،
وتلقى خطبة لتحيته .. هل أنت وثني ؟

لماذا تعتبرني وثنياً إذا رشقت النصب التذكاري للشيطان
بحجر ولعنته .. إنها نفس الفكرة .

إنها كلها رمزيات .

أنت تعلم أن النصب التذكاري مجرد رمز ، وأنه ليس
الجندي .

وأنا أعلم أيضاً أن هذا التمثال رمز ، وأنه ليس الشيطان .

وبالمثل السعي بين الصفا والمروة إلى حيث نبعث عين زرم
التي ارتوى منها إسماعيل وأمه هاجر .. هي إحياء ذكرى عزيزة

والعناق واللقاء .. هل أنت وثني ؟

وبالمثل من يسعى إلى الله بعقله وقلبه .. يقول له الله : إن هذا
لا يكفي .. لا بد أن تسعى على قدميك .

والحج والطواف رمز لهذا السعي الذي يكتمل فيه العب
شعوراً وقولاً وفعلاً .

وهنا معنى التوحيد .

أن توحد جسداً وروحًا بأفعالك وكلماتك .

وهذا نركع ونسجد في الصلاة ولا نكتفى بخشوع القلب ..
فهذه الوحدة بين القلب والجسد يتجلى فيها الإيمان بأصدق
ما يتجلى في رجل يكتفى بالتأمل .

أما ثياب الإحرام البيضاء فهي رمز الوحدة الكبرى التي
تدوب فيها الأجناس ويتساوى فيها الفقر والغنى .. المهراجا
وأتباعه .

ونحن نلبسها على اللحم .. كما حدث حينما نزلنا إلى العالم في
لحظة الميلاد وكما سوف يحدث حينما نغادره بالموت .. جتنا
ملفوتين في لفافة بيضاء على اللحم .. ونخرج من الدنيا بذات
اللفة .

هي رمز للتجرد .. لأن لحظة اللقاء بالله تحتاج إلى التجرد كل
التجرد .

ولهذا قال الله لموسى :

و يوم لا ينسى في حياة النبي والجده اسماعيل وأمه المصرية
هاجر .

و جميع شعائر ديانتنا ليست طقوساً كهنوتية بالمعنى المعروف ،
و إنما هي نوع من الأفعال التكاملية التي يتكمّل بها الشعور والتي
تسترد بها النفس الموزعة وحدتها ..

إنها وسيلة لخلق إنسان موحد .. قوله هو فعله .. فالكرم
لا معنى له إذا ظل تصريحاً شفويًا باللسان ، وإنما لابد أن تتدبر
اليد إلى الجيب ثم تنبسط في عطاء ليكون ا Zukr كرمًا حقيقياً ..
هل هذه الحركة وثنية أو طقساً كهنوتيًا .

وبهذا المعنى ، شعائر الإسلام ليست شعائر ، وإنما تعبيرات
شديدة البساطة للإحساس الديني .

ولهذا كان الإسلام هو الدين الواحد الذي بلا طقوس
وبلا كهنوت وبلا كهنة .

ألا تراهم أئمتك أكثر من مليون يكلمون الله مباشرة
بلا واسطة ويركعون على الأرض العراء حيث لا محاريب
ولا مآذن ولا قباب ولا منابر ولا سجاجيد ولا سقوف منقوشة
بالذهب ولا جدران من المرمر والرخام .

لا شيء سوى العراء .
ونحن عراء .

ونقوشنا تعرت أمام خالقها فهي عراء .

ونحن نبكي .. كلنا نبكي .
وسكت صديقي وارتقت أصوات التلبية من مليون وخمسة
ألف خنجرة .. لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا سريك لك لبيك .
وكنت أعلم أن صديقي مازال بينه وبين الإيمان الحقيقي
أشواط ومراحل ومعراج من المعاناة .

ما زال عليه أن يصعد فوق خرائب هذا بناء المنطقى الذى
اسمه العقل ويستشرف على ينابيع الحقيقة فى تنافتها البكر داخل
قلبه .. حينئذ سوف يكشف عقله عن اللجاجة والتنطع ويلزم
حدوده واحتياصه ، ويدرك أن الدين أكبر من مجرد قضية
منطقية ، وأنه هو في ذاته منطق كل شيء .. ونـ الله هو البرهان
الذى نبرهن به على وجود الموجودات لأنـه قيـومـها (هو الذى
أوجـدهـاـ منـ العـدـمـ فـهـىـ موجودـةـ بـهـ وبـفـضـلـهـ) ، فهو برهانـ عليهاـ
أكـثـرـ مـاـ هـىـ بـرـهـانـ عـلـيـهـ .. وكـيفـ يـكـونـ نـعـدـ بـرـهـانـاـ عـلـىـ
الـوـجـودـ .. وكـيفـ يـكـونـ المـعـدـوـمـ شـاهـدـاـ عـلـىـ مـوـجـدـ الـوـجـودـ .
إنـهاـ لـجـاجـةـ الـعـقـلـ .. وـهـىـ سـلـسـلـةـ مـنـ الـخـرـابـ الـمـنـطـقـيـةـ لـابـدـ أنـ
نـمـرـ بـهـاـ فـيـ مـعـرـاجـنـاـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ الـحـقـيقـةـ .. وـهـذـاـ عـيـبـ الـعـصـرـ الـذـىـ
يـدـعـىـ فـيـ الـعـقـلـ كـلـ شـيـءـ .

وعـصـرـنـاـ لـلـأـسـفـ عـصـرـ الـعـلـومـ الـوـضـعـيـةـ وـمـنـطـقـ الـوـضـعـيـةـ ..
هـوـ عـصـرـ الـأـلـكـتـرـوـنـيـاتـ وـالـكـهـرـبـاءـ وـالـكـيـمـيـاءـ وـالـطـبـيـعـةـ .
وـالـوـاحـدـ مـنـاـ فـيـ بـدـاـيـةـ تـلـقـيـهـ هـذـهـ الـعـلـومـ نـوـضـعـيـةـ ، وـلـفـرـطـ

الغواشى ترين على مرآة البصيرة فتحجب نورها الكاشفة .
وعضى العمر والإنسان يصارع هذه الرغبة ويتمزق ،
ويعلن ويسأل ويسأله ويحفر ، في داخل نفسه حتى تنهك
الأستار ، وتتجلى الغواشى ، ويدأ يدرك أخفى هذه الرؤية
الكلية التي هي هبة بصيرته .

وهنا يبدأ يعرف ما هو الدين .

وقد يرى بالبصيرة من لا يحمل الشهادة .

وقد تعمى بصيرة المتعلم المؤهل في الخدمة .

وجلاء القلب فضل إلئى قد يوهب وقد يكتسب ، ولا توجد
شروط في المعرفة الإلهية ، وهذا الهندى لنفسه الفقير الحانى
العارى الغارق في دموعه قد يعرف عن الله أسرى ما نعرف نحن
الذين نكتب في الدين والله .

وربما لو سألته عن شعوره لما استطاع أن شرحة في عبارات
مثل العبارات المنمرة التي نكتبها .. وهو أمر .. هم .. فالمعرف
العالية قد تعلو على العبارة وقد تعجز عنها الإشارة .. فلا يبقى
إلا الصمت والدموع .

ولهذا هم ييكونون على عرفات في لحظة لفء من النفس والله ..
تبعد فيها الكلمات مبتذلة .. واللسان مطل .. والعبارات
خرساء .. فلا تبقى إلا الدموع .. وهي دموع مرح وحزن وندم
وتوبة وتطهر وميلاد .

انبهاره بها وبنجزاتها يتصور أنها علوم كلية يمكن أن يناقش بها
الأمور الكلية مثل الوجود الإلهي فيقع في خطأ من يحاول أن
يقيس السماء بالشبر ويزن الحب بالدرهم .

وقضى عليه سنوات من التمزق والمعاناة قبل أن يكتشف أن
الطبيعة والكيمياء علوم جزئية تبحث في المقادير وال العلاقات
واختصاصها هو القضايا الجزئية ، وهي لا تصلح بطبعها معاييرها
للحكم على الدين لأنها قضية كلية .

الدين هو العلم الكلى الذى يحتوى على كل تلك العلوم .. في
حين لا يحتوى عليه أى منها .

وعندنا نور آخر نستدل به على الحقيقة الدينية ، نور القلب
وهدى بصيرة واستدلال البطرة والبداهة .

هنا نور نستشف به الحقيقة بدون حيشيات .

هنا منطقة في الإدراك هيأها الله للإدراك المباشر .

وهي مرتبة أعلى من مراتب الشعور العادى .

وكما أن العقل أعلى في الرتبة من حاسة مثل الشم واللمس ،
فذلك بصيرة أعلى في الرتبة من العقل ومن الإدراك بالمنطق
العقل الجدلى .

وبال بصيرة هبة متاحة لكل منا ، ولكن صداً العرف والتقليد
والادعاء العقلى ، والأحكام الجاهزة الشائعة . هذا عدا الغرور
وظلمة الشهوات والرغبات وسعار الأحقاد والمطامع .. كل هذه

وهي فجر روحي يعرفه من جربه .

وقد توحى اللحظة الواحدة والظرف الواحد بشيئين مختلفين تماماً وربما متناقضين . فحينما كنا نطوف بالكتبة في زحام من الألف مؤلفة ، كان صديقى يلهث مختنقًا وكل ما يخطر له بالمناسبة هو تخيله لو كانت هذه الكتبة في أوروبا في برلين مثلاً ، إذن لاختلف الأمر ولطاف حوالها الأوروبيون في طوابير منظمة لا يزحم فيهم الواحد الآخر .. بينما كنت أنا أنظر إلى الألوف المؤلفة التي تدور كالذرارات البيضاء وأرى فيهم الملائكة بلا هوية من حجوا وطافوا وعاشوا وماتوا .. أرى فيهم أبي وأمي .. كانوا هنا يطوفون منذ سنوات في هذا الزحام نفسه .. ومن قبلهم جدى الذي جاء إلى هنا على ظهور الإبل .. ثم الأجداد .. وأجداد الأجداد من قبل إلى أيام النبي الذى خرج من مكة مهاجرًا وعاد إليها فاتحًا .. كنت أنظر في المجموع الحاشدة من منضور تاريخي وفي خناق الزحام نسيت نفسي تماماً ، وفقدت هويتي ، ولم أعد أعرف من أنا .. هأنذا قد مت أنا الآخر .. وهذا ابنى يطوف ويذكرنى وهو يطوف ، ثم يوت ذات يوم ويصبح هو الآخر ذكرى . كانت لحظة روحية شديدة التوهيج فقدت فيها إحساسى بذاتى تماماً ، وغبت عن نفسي وامتلاكت إدراكاً بأنه لا أحد موجود حقاً سوى الله .. وتذكرت السطر الأول من قصة الخلق . في البدء كان الله ولا شيء معه .

وفي الختام يكون ولا شيء بعده .
هو الأول والأخر .

هو ..

نعم هو ولا سواه .

كانت لحظة من المحو الكامل لكل شيء بما في ذلك نفسي ذاتها ، في مقابل ملء مطلق وملاه مطلق لموجود واحد مطلق هو الله .

وبالرغم من الإحساس بالغياب فإنه كان إحساساً في الوقت ذاته بالحضور .. الحضور الشامل المهيمن على كل ذرة من الشعور .. حضور ماذا .. ؟

وأحار في وصف تلك اللحظة ولا أجد الألفاظ ولا العبارات وأكتفى بأنها أعمق ما عشت من لحظات .

إنها أشبه بعدة ستائر تفتح متتالية بعضها من وراء البعض .. تفتح ستارة لتكتشف عن مسرح صغير هو الواقع الفردى بتفاصيله، ثم تفتح ستارة في العمق لتكتشف عن واقع خار خلفي كبير ، هو الواقع التاريخي يتلعل الواقع الأول بما فيه . ثم تفتح ستارة ثالثة في العمق البعيد تكتشف عن حقيقة اختنق التي يهت أمامها كل شيء .

هو إحساس دينى يصعب تصويره في كلمات
هو أشبه بوقف مقاتل على الجبهة .

إنه في تلك اللحظة ينسى همومه الصغيرة .
هموم وطنه تتبلع همومه .

وجراح وطنه تتبلع جراحه فينسى مشكلات بيته الصغير
ويذوب في مشكلات مجتمعه الكبير .

هناك حضور أكبر ابتلع الحضور الأصغر .
وبالمثل لحظة الوقوف في حضرة الله .
هنا الحضرة العظمى .. حضرة الحق .

وهي حضرة هائلة تذوب أمامها الحواس تماماً .
يفنى الواقع الصغير .. واقع النفس ومشكلاتها اليومية .. ثم
الواقع الزمني المحيط بتفاصيله .. ثم الواقع التاريخي كله .
ثم يكون فناء النفس ذاتها في لحظة احتواء كامل من ذات
عظمى مهيمنة .

هي لحظة صوفية نعرفها في الحب .. ويروها لنا المحبون .
والحب البشري لا شيء بالنسبة للحب الإلهي .
وجمال امرأة لا شيء بالنسبة للجمال المطلق الكل .

أين كان صديقى من هذا كله ؟
ما أبعد كل منا عن الآخر مع أن ذراعى في ذراعه .. كان
يفكر وينطق ويرتب الحيثيات .
وكنت أذوب حباً وقد قفزت بي اللحظة فوق حاجز العقل
وجاوزت بي الحدود والتفاصيل لتضعنى على ذرعة أرى منها رؤية

كلية . وأدرك منها إدراكاً كلياً .
هو الحب .

والدين في جوهره حب .. والحج هجرة إلى بيت الحبيب
والطواف للعشاق .

هؤلاء لا يجدون فيه كلفة ولا تكليفاً .
 وإنما يجدون حواراً مؤنساً .. ومكالمة من تلك المكالمات السرية
التي تضيء مجاهيل القلب .

وما أكثر ما شعرت به في الكعبة بما لا أجد له كلمات .
قد يسأل سائل : لماذا تتكبد المشاق لنذهب إلى الله في رحلة
الحج .. ولماذا هذه الهجرة المضنية .. والله معنا في كل مكان .. بل
هو أقرب إلينا من حبل الوريد . وهو القائل إنه ﴿ قریب محبب
الدعوات ﴾ .. بل إن قربه لنا هو منتهى القرب .. فما الداعي
إلى سفر وارتحال لنقف فوق عرفة ندعوه منها .. وهو القريب منا
قرب الدم من أجسادنا .
والسؤال وجيه .

والحقيقة أن الله قريب منا بالفعل وأقرب إلينا من الدم في
أجسادنا ، ولكننا مشغولون على الدوام بغيره .
إنه لا يقيم دوننا الحجب ولكننا نحن الذين نقيم هذه
الحجب .. نفوسنا بشواغلها وهموها وأهواطنها تلفتنا في غلالات
مكتففة من الرغبات .. وعقولنا تضرب حولنا نطاقاً من الفرور ..

نیشنل سینما

والتوحيد **أعمال** وليس **كتابه** و**رسالته** على **الإنسان** ..

وَالشَّرُورِ [عَمَلٌ وَبَيْنَ أَ

يقول الله لآل داود .. عبادي الشكور

لأن **الشيء** .. أعملوا آل داود شكرًا .. أعلموا ..
لـ**الشـيـءـة** .. أـعـلـمـوا .. أـلـدـاـوـدـ شـكـرـا .. أـعـلـمـوا ..

والقرآن سباق متصل مستمر .. لكنه أعمى ..

• التوجه .

ويعد العلم بجهود الحسن

وقد أهداه الله تعالى إلينا في سورة العنكبوت الآية رقم 113، حيث قال: لا إله إلا الله واسْتَعِمْ عَلَى مَعْنَاهَا.

عنده هي رحلة المجرة إلى الله .. واللحظ والصلوة . وبعده

صورة الدنيا -

والحق في معناه خرج . أبا الله :

خرد من انسانی بین اخلاقی خود را بگیرد . و خروجی

العبيديه درسيه (والنفاذ والمهام) إلى عمودية له وحده باعتباره

الأنساب .

ومنه الاكتفاء المشبع بصحبة الحق والاتناء به .
ولا يفهم من هذا توكل .. لأن الرجل يصف ما فيه
وين الله وليس ما فيه وبين الناس .. ولو أنه وجد بين الناس
شيء القويم بالسيف .. فهذا الرجل نفسه هو المغائب أبو ذر
وأمثاله .. وهو نفسه الذي يثور على المحاكم الظالم .. فالامتنال لله
شيء غير الامتنال للعباد الله .. بل هو عكسه وتفضيه .
فخادم الله هو أول من يثور على عباد الله دون خوف ..
والخلفاء من الله لا تساوى عنده الدنيا شيئا فهو أول من
يضحى بها وينفسه تحت ظلال السيف في سبيل كلمة حق .. لأن
الله عنده هو الحق .. وعشقي الله هو الموت في سبيله .
وهذا هو توكل الإسلام وهو غير توكل الكسال الشعاذين
من مفترشى الأرصفة .. وهو لاء ليسوا مسلمين أصلا .

وليس كل من يعمم :

﴿ قل هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يعلم موحد .

والهم ماذا تقول أعماله ..

إذا كان يعتقد حقاً أن الله أحد لا سواه ، هو الضار النافع ،
فماذا يد اليه إلى غيره ولماذا يتزلف ولماذا يتسلق ، ولماذا يكبس
المال والمعقار وهو يعلم أن الله هو الملك . الوحيد للأرض
وما عليها وهو الوارث للكل ؟ ولماذا يكذب والله سميع ؟ ولماذا

وسراج لا نهاية له .. لأن كمال الله لا نهاية له .

ومكدا يقطع المهاجر إلى الله مرحلة حتى يصل إلى
النفحات ، فيبني عن نفسه ويكوت عن صفاته ويصبح حاله في

الظاهر والباطن حال من بحثا بالله . ويجتهد بحق عليه الفسق

ولبس ثوب الإحرام على العربي لهذا هو ثوب الملوود ..

وهو ثوب من قطعدين رمزا لسر العورة الظاهرة وستر العورة

الباطنة .. وللبياء هنا على وجهين حباء من الملقي وجياه من

المقى .. حباء من سوء الملقى الظاهر الذي تعرف الناس ، وجياه

من العورة الباطنة التي لا يراها إلا الله .. ومن هنا كانت

الفرق بين المررتين .

أما النحر والذبح فهو في حقيقته ذبح النفس ورغباتها
وشهواتها وأهوانها .. وقد افتدى الله بنفس بدبح الصبحية ..

فتضحي بعض مالك رمزا لقتل شهواتك وهوئ نفسك .

اما تقبيل المجر الأسود فهو تردد من غائب ، فأنت تضحي

بـ « من خرج يريد الطواف خاص في الرحلة »

ويفعل عن الحج :

« اللهم بك أصبت وليك أنجول »

ويقول عن الحج : « اللهم بك انتشرت ، وبك آمنت ، وبك اعتصمت . اللهم

بـ أصول وليك أنجول »

يبيأ عهد عليه الصلاة والسلام :

« اللهم إني أصلح لك نفسي وآركن إلى رغبتي بقول

ـ ٤٧ ـ
ـ ١١ـ

ـ ٤٨ ـ

ـ ٤٩ ـ

ـ ٥٠ ـ

ـ ٥١ ـ

ـ ٥٢ ـ

ـ ٥٣ ـ

ـ ٥٤ ـ

ـ ٥٥ ـ

ـ ٥٦ ـ

ـ ٥٧ ـ

ـ ٥٨ ـ

ـ ٥٩ ـ

ـ ٦٠ ـ

ـ ٦١ ـ

ـ ٦٢ ـ

ـ ٦٣ ـ

ـ ٦٤ ـ

ـ ٦٥ ـ

ـ ٦٦ ـ

ـ ٦٧ ـ

ـ ٦٨ ـ

ـ ٦٩ ـ

ـ ٧٠ ـ

ـ ٧١ ـ

ـ ٧٢ ـ

ـ ٧٣ ـ

ـ ٧٤ ـ

ـ ٧٥ ـ

ـ ٧٦ ـ

ـ ٧٧ ـ

ـ ٧٨ ـ

ـ ٧٩ ـ

ـ ٨٠ ـ

ـ ٨١ ـ

ـ ٨٢ ـ

ـ ٨٣ ـ

ـ ٨٤ ـ

ـ ٨٥ ـ

ـ ٨٦ ـ

ـ ٨٧ ـ

ـ ٨٨ ـ

ـ ٨٩ ـ

ـ ٩٠ ـ

ـ ٩١ ـ

ـ ٩٢ ـ

ـ ٩٣ ـ

ـ ٩٤ ـ

ـ ٩٥ ـ

ـ ٩٦ ـ

ـ ٩٧ ـ

ـ ٩٨ ـ

ـ ٩٩ ـ

ـ ١٠٠ ـ

ـ ١٠١ ـ

ـ ١٠٢ ـ

ـ ١٠٣ ـ

ـ ١٠٤ ـ

ـ ١٠٥ ـ

ـ ١٠٦ ـ

ـ ١٠٧ ـ

ـ ١٠٨ ـ

ـ ١٠٩ ـ

ـ ١١٠ ـ

ـ ١١١ ـ

ـ ١١٢ ـ

ـ ١١٣ ـ

ـ ١١٤ ـ

ـ ١١٥ ـ

ـ ١١٦ ـ

ـ ١١٧ ـ

ـ ١١٨ ـ

ـ ١١٩ ـ

ـ ١٢٠ ـ

ـ ١٢١ ـ

ـ ١٢٢ ـ

ـ ١٢٣ ـ

ـ ١٢٤ ـ

ـ ١٢٥ ـ

ـ ١٢٦ ـ

ـ ١٢٧ ـ

ـ ١٢٨ ـ

ـ ١٢٩ ـ

ـ ١٣٠ ـ

ـ ١٣١ ـ

ـ ١٣٢ ـ

ـ ١٣٣ ـ

ـ ١٣٤ ـ

ـ ١٣٥ ـ

ـ ١٣٦ ـ

ـ ١٣٧ ـ

ـ ١٣٨ ـ

ـ ١٣٩ ـ

ـ ١٤٠ ـ

ـ ١٤١ ـ

ـ ١٤٢ ـ

ـ ١٤٣ ـ

ـ ١٤٤ ـ

ـ ١٤٥ ـ

ـ ١٤٦ ـ

ـ ١٤٧ ـ

ـ ١٤٨ ـ

ـ ١٤٩ ـ

ـ ١٥٠ ـ

ـ ١٥١ ـ

ـ ١٥٢ ـ

ـ ١٥٣ ـ

ـ ١٥٤ ـ

ـ ١٥٥ ـ

ـ ١٥٦ ـ

ـ ١٥٧ ـ

ـ ١٥٨ ـ

ـ ١٥٩ ـ

ـ ١٦٠ ـ

ـ ١٦١ ـ

ـ ١٦٢ ـ

ـ ١٦٣ ـ

ـ ١٦٤ ـ

ـ ١٦٥ ـ

ـ ١٦٦ ـ

ـ ١٦٧ ـ

ـ ١٦٨ ـ

ـ ١٦٩ ـ

ـ ١٧٠ ـ

ـ ١٧١ ـ

ـ ١٧٢ ـ

ـ ١٧٣ ـ

ـ ١٧٤ ـ

ـ ١٧٥ ـ

ـ ١٧٦ ـ

ـ ١٧٧ ـ

ـ ١٧٨ ـ

ـ ١٧٩ ـ

ـ ١٨٠ ـ

ـ ١٨١ ـ

ـ ١٨٢ ـ

ـ ١٨٣ ـ

ـ ١٨٤ ـ

ـ ١٨٥ ـ

ـ ١٨٦ ـ

ـ ١٨٧ ـ

ـ ١٨٨ ـ

ـ ١٨٩ ـ

ـ ١٩٠ ـ

ـ ١٩١ ـ

ـ ١٩٢ ـ

ـ ١٩٣ ـ

ـ ١٩٤ ـ

ـ ١٩٥ ـ

ـ ١٩٦ ـ

ـ ١٩٧ ـ

ـ ١٩٨ ـ

ـ ١٩٩ ـ

ـ ٢٠٠ ـ

ـ ٢٠١ ـ

ـ ٢٠٢ ـ

ـ ٢٠٣ ـ

ـ ٢٠٤ ـ

ـ ٢٠٥ ـ

ـ ٢٠٦ ـ

ـ ٢٠٧ ـ

ـ ٢٠٨ ـ

ـ ٢٠٩ ـ

ـ ٢١٠ ـ

ـ ٢١١ ـ

ـ ٢١٢ ـ

ـ ٢١٣ ـ

ـ ٢١٤ ـ

ـ ٢١٥ ـ

ـ ٢١٦ ـ

ـ ٢١٧ ـ

ـ ٢١٨ ـ

ـ ٢١٩ ـ

ـ ٢٢٠ ـ

ـ ٢٢١ ـ

ـ ٢٢٢ ـ

ـ ٢٢٣ ـ

ـ ٢٢٤ ـ

ـ ٢٢٥ ـ

ـ ٢٢٦ ـ

ـ ٢٢٧ ـ

ـ ٢٢٨ ـ

ـ ٢٢٩ ـ

ـ ٢٢١٠ ـ

ـ ٢٢١١ ـ

ـ ٢٢١٢ ـ

ـ ٢٢١٣ ـ

ـ ٢٢١٤ ـ

ـ ٢٢١٥ ـ

ـ ٢٢١٦ ـ

ـ ٢٢١٧ ـ

ـ ٢٢١٨ ـ

ـ ٢٢١٩ ـ

ـ ٢٢٢٠ ـ

ـ ٢٢٢١ ـ

ـ ٢٢٢٢ ـ

ـ ٢٢٢٣ ـ

ـ ٢٢٢٤ ـ

ـ ٢٢٢٥ ـ

ـ ٢٢٢٦ ـ

ـ ٢٢٢٧ ـ

ـ ٢٢٢٨ ـ

ـ ٢٢٢٩ ـ

ـ ٢٢٢١٠ ـ

ـ ٢٢٢١١ ـ

ـ ٢٢٢١٢ ـ

ـ ٢٢٢١٣ ـ

ـ ٢٢٢١٤ ـ

ـ ٢٢٢١٥ ـ

ـ ٢٢٢١٦ ـ

ـ ٢٢٢١٧ ـ

ـ ٢٢٢١٨ ـ

ـ ٢٢٢١٩ ـ

ـ ٢٢٢٢٠ ـ

ـ ٢٢٢٢١ ـ

ـ ٢٢٢٢٢ ـ

ـ ٢٢٢٢٣ ـ

ـ ٢٢٢٢٤ ـ

ـ ٢٢٢٢٥ ـ

ـ ٢٢٢٢٦ ـ

ـ ٢٢٢٢٧ ـ

ـ ٢٢٢٢٨ ـ

ـ ٢٢٢٢٩ ـ

ـ ٢٢٢٢١٠ ـ

ـ ٢٢٢٢١١ ـ

ـ ٢٢٢٢١٢ ـ

ـ ٢٢٢٢١٣ ـ

ـ ٢٢٢٢١٤ ـ

ـ ٢٢٢٢١٥ ـ

ـ ٢٢٢٢١٦ ـ

ـ

فإذا جرى البلى والفساد على الورق لا يكون في ذلك مهانة للدين .

وإنما المراد هنا المعنى العميق .. « لا يسمى إلا المطهرون » ..
أى لا يمس معانى القرآن ولا يفهم أسراره إلا النفوس المظهرة
من أهوائهما .

وبالمثل تقوم المكعبات كرمز .. لا كحجارة .

والحج والطواف والذبائح والرجم وعرفة رموز .

فإذا تجاوز تقديس البقعة إلى تقديس الحجر ، خرج المؤمن
عن إيمانه وسقط إلى حضيض الشرك والوثنية ، وما هكذا
مراد الله بالكعبة .

والذى يسأل لماذا يكون الطواف سبعة أشواط والرجم سبع
حصوات .. نقول له ولماذا لا يكمل نمو الجنين إلا في الشهر
السابع ؟ ولماذا يولد ميتاً إذا نزل قبل السابع ؟ ولماذا تكتمل
النوتة الموسيقية بالدرجة السابعة فلا تكون النوتة الأعلى بعد
ذلك إلا جواباً للنوتة الأولى ؟

إنه سر في بناء الكون المادى والروحى إنه سباعي التكوين ،
وإن السبعة هي درجة الاستواء وال تمام .

والنفس البشرية بالمثل سبع درجات . أسفلها النفس
الأمارية ، ثم تليها النفس اللوامة ، ثم النفس الملهمة ، ثم النفس

وفي عام مولد النبي كانت غزوة الفيل المعروفة وهدم الكعبة
كما أنه في عام ٣١٧ هجرية هجم أبو طاهر القرمطي على مكة
وقتل وسيبي ثم اقتلع الحجر الأسود وحمله معه إلى الأحساء ..
وقد ثبر أبا عبد الله المهدى من فعل أبي طاهر ومن أخذ الحجر
الأسود وقتله الحجاج ، فبعث إليه برد الحجر الأسود ، ولكنهم لم
يستجبوا وبقي الحجر ٢٢ سنة ثم نقل إلى الكوفة عام ٣٣٩
هجرية ، ومنها أعيد إلى مكانه في البيت .

ويرد بعض المؤرخين اقتلاع القرامطة للحجر الأسود إلى
محاولتهم إبطال الحج ونزع الإسلام ، وإظهار عبادة النار ويرى
آخرون أن الصراع كان سياسياً بحتاً ، وكان المقصود منه محاربة
عقيدة أهل السنة .

فالكعبة لم تسلم إذن من التخريب والهدم والسلب والنهب ...
وعبر التاريخ لم يبق فيها حجر على حجر . لم يبق فيها
إلا مكانها .
فهي رمز

ولا يصح تقديسها إلا رمزاً
و شأنها شأن القرآن حينما يقول عنه الله :
﴿لا يسمى إلا المطهرون﴾

فلا يكون المقصود هنا « المصحف وورقه » .. لأن المصحف
دوره مادة شأنها شأن كل المواد يجري عليها العطب والفساد ..

وكان أمراً عجياً أن يهدأ البحر وتقلع الرياح وتنتهي
ل العاصفة ، وينجو وحده و معه ذهابه بهذه الطريقة التي تبدو
كالعجزة .

وتندفع عيناً الجد ويومض بصره الكليل ، وكأنما يرى شريطاً
سريعاً من اللقطات الرهيبة .. ويرى كيف قضى ليلتين في البحر
ثم انتشله مركب شراعي آخر قاصداً إلى الحج .. وكيف أتم
حجته السابعة ثم عاد بسلام .

ويرى كيف كان الموت يترصد الحاج في كل خطوة في البحر
وفي البر وفي الصحراء .. وبين البحر المحرق والرمال والعطش إذا
ضل طريقه أو ماتت راحلته .. وعلى أيدي قطاع الطرق إذا ألقى
به سوء حظه إلى عصبة من عصاباتهم .. أو بفرض معيذ في زمان لم
يكن يعرف شيئاً اسمه طب وقائي أو يسمع عن لقاح للكوليرا
أو التيفود .. وكانت الرحلة تطول إلى ستة أشهر وسبعة أشهر
وستة ، وكان الخارج إليها مفقوداً والعائد مولداً .

وكان يختتم قصته مبتسمًا بفمه الحال من الأسنان ..
ويرغم كل هذه الأحوال فقد حجبت سبع حججات وهاؤنذا
أموت بينكم في الفراش كما يموت الكسالي من العجائز . لتعلموا
ياأولادى أن كل شيء بأمر الله .. وأنه لا البحر يغرق
ولا المرض يهلك ولا نار الصحراء تحرق ، وإنما هو الله وحده
الذى يصرف الآجال كيف يشاء .

اذكر الآن قصة هذا الجد الطيب وتطفو بذهني تلك الصور
وأنا أضع قدمي في الطائرة لأصل جدة في ساعتين ، وفي ساعة
ثالثة أكون في المحرم أطوف بالکعبـة ثم في الساعة التالية أكون
صاعداً إلى عـرفـات ، وبعد غروب الشـمـس أكون نازلاً إلى مني
لرمي الجـمرـات ثم طـافـ الإـفـاضـة ثم تـنهـي كل المـاسـكـ في
آمن .

وأذكر السرب الطويل من خـسـينـ ألفـ عـربـةـ تحـمـلـ نـصـفـ
مـلـيـونـ حاجـ وـتـصـدـ كـلـهاـ فـوقـ وـقـتـ وـاحـدـ فـعـدـ طـرـقـ دـائـرـيةـ
حـدـيـثـةـ الرـصـفـ .. وـكـلـ شـئـ يـتـمـ فـيـ سـرـعـةـ وـنـظـامـ وـدـوـنـ حـادـثـ
وـقـدـ تـنـاثـرـ وـحدـاتـ الـكـشـافـةـ لـتـنـظـيمـ الـمـرـورـ .. وـعـلـىـ الجـبـلـ
تـرـاـصـتـ مـسـتـشـفـيـاتـ كـاـمـلـةـ التـجهـيزـ لـعـلاـجـ وـعـزـلـ أـىـ حـالـةـ
اشـتـباـهـ .. وـطـوـالـ سـاعـاتـ الـلـيـلـ وـالـنـهـارـ تـنـطـوـفـ الـرـشـاشـاتـ لـقـتـلـ
الـذـبـابـ وـالـبـعـوضـ فـيـ أـمـاـكـنـ تـوـالـدـهـ . وـتـنـطـوـفـ فـرـقـ أـخـرىـ لـجـمـعـ
الـقـمـامـةـ وـحـرـقـهاـ .

وـبـيـنـ مـكـةـ وـالمـدـيـنـةـ يـمـدـ أـوـتـوـسـتـرـادـ أـمـلـسـ كـالـحـرـيرـ تـنـزلـقـ عـلـيـهـ
الـعـربـاتـ فـيـ نـعـومـةـ ، وـبـنـانـ الـراكـبـ فـيـ حـضـنـ كـرـسـيـهـ فـيـ اـسـتـرـخـاءـ
لـذـيـذـ .

ما أبعد اليوم من الأمس .
وما أكثر ما تنقلب فيه من النعم .
وكـلـهاـ أحـاطـتـناـ النـعـمـةـ اـزـدـدـنـاـ لـهـ هـجـرـاـ .

كلمة التوحيد .. ماذا تعنى

أكثُرَ الَّذِينَ عَبَدُوا اللَّهَ وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهُ وَاحِدًا جَعَلُوا لَهُ شُرَكَاء .. أَكْثُرُهُمْ فَعَلُوا هَذَا مِنْ حِيثِ يَدْرُونَ أَوْ مِنْ حِيثِ لَا يَدْرُونَ . أَخْنَاثُونَ الَّذِي بَلَغَ الْقُمَّةَ فِي التَّوْحِيدِ ، عَادَ فَجَعَلَ مِنْ نَفْسِهِ ابْنًا هَذَا إِلَاهٌ فَقَالَ فِي نَشِيدِهِ مُخَاطِبًا رَبِّهِ . إِنَّكَ فِي قَلْبِي . وَلَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يَعْرِفُكَ . غَيْرَ ابْنِكَ الَّذِي وَلَدَ مِنْ صَلْبِكَ . مَلِكَ مَصْرَ الْعُلِيَا وَالسُّفْلِيَا . الَّذِي يَحْيَا فِي الْحَقِّ . سَيِّدُ الْأَرْضِينَ أَخْنَاثُونَ .

لقد وقع برغم بصيرته الشفافة في هذا الإفك القديم وظن نفسه أبنا الله من صلبه ، وفي فارس تصوره الذين عبدوه إلهين اثنين .. (هرمز واهرمن) : « أحدهم إله للخير والآخر للشر » وفي الهند تصوروه ثالوثاً « براهم وفسنو وشيفا » ومن تحت الثالوث عدداً كثرة من صغار الآلهة وصلت إلى ثلاثة مائة

أين بيان اليوم .. من إيمان النبي العظيم منذ ألف وأربعين سنة وهو خارج في غزوة تبوك على رأس اثنتي عشر ألفاً من المسلمين في شهور القيظ ، المحرق ، ليخوض في رياح السموم والحرور القاتلة سبع ليال يتهدده العطش في كل خطوة .. وقد ترك من خلفه الأمان والظل الظليل والراحة في خيام زوجاته .. يلقي الله ولبلع الرسالة .. وليحارب من ؟! .. الروم .. الذين احتشدوا على الحدود بئنات الألوف .

والاليوم ترتفع حرارة الجو بضع درجات فندير جهاز التكييف
ونغلق أبواب غرفنا لا نبرحها لأن الخروج إلى الشارع مجازفة
غير مأمونة .

وَمَا أَبْعَدَ الْيَوْمَ مِنِ الْأَمْسِ حَقًا .
وَمَا أَفْدَحَ مَا خَسَرْنَا حِينَاهُ خَسَرْنَا الْإِيمَانَ .

وثلاثين مليوناً من الآلهة ، بعدد ما ظنوا من حيوانات ودواب
ومخلوقات تحمل فيها أرواح تلك الآلهة .

وفي اليونان عبدوا زيوس كبير الأرباب ثم جعلوا لهذا الكبير
عصابة من صغار الآلهة بعدد ما تصوروا من قوى الطبيعة .
وعبد اليهود رب « يهوا » إلها واحداً ثم جعل بعضهم من
النبي عزرا ابنًا له مخالفين بذلك ما علمهم موسى من وحدانية
الخالق .

وجاء عيسى بالتوحيد فاختطف من بعده الأتباع وجعلوا من
المسيح ابنًا لله وجعلوا الحقيقة الالهية الواحدة ثالوثاً .

ثم جاء الإسلام بختام الكلمة في التوحيد فالله أحد صمد
لا صاحبة له ولا ولد ، ليس له ند ولا ضد ولا مثيل ولا شبيه ،
لا يتعيّز في مكان ، ولا يتزمن بزمان ، ولا يتحدد في كم ،
ولا يتمثل في مقدار ، ولا يتقيّد بإطار ، ولا تحيط به صورة ،
ولا يتتجسد في جسد ، وهو ليس من هذا العالم ، بل هو فوقه
ومتعال عليه فهو في الإطلاق وهذا العالم في القيد ، وفي الكلمة
بساطة بلية .. أحد .. أحد .. ليس كمثله شيء .

واعتقد المسلمون بهذا التوحيد الواقع الشهادة التي يقررونها
خمس مرات كل يوم وفي كل أذان ، إنه لا إله إلا الله .. وأن الله
أكبر من كل شيء مطلقاً .. ولكن الكثرة الغالية منهم عادت
فوقعت في ألوان جديدة من الشرك الخفي ، وبات أكثر توحيد

المسلمين باللسان بأن الله أكبر .. على حين أن سلوك هذه الكثرة
ومشارعها يقول إن الدنيا أكبر ، وتحصي المال أكبر وحياة
القصور والضياع أكبر ، والفوز برضارة أكبر والتقرب
للسلطة أكبر ، وهو نفس أكبر .

الكثرة تقول لا نعبد إلا الله ولا نخاف إلا الله ، ولكن
سلوكها يقول إنها تخاف الموت والثغر والمرض والميكروب
والفيروس والشيخوخة أكثر ، وكأنما هذه الأشياء لها سلطة
الضرر بذواتها .

الكثرة تطلب الشفاء من يد الطبيب وتنتمسه في الدواء ويقع
الواحد في اليأس لأنه لم يجد الحقن ستروردة كذا أو المضاد
الحيوي كذا ، وينسى أن الله من وراء الأسباب ، وأنه هو الذي
أودع صفات الشفاء في هذا المضاد أو هذه الحقنة وأنه هو الذي
قدر البرء على يد هذا الجراح .. وأنه هو الذي خلق الفيروس
والميكروب والبكتيريا ، وأنه هو الذي نشرها وأرسلها وأنه هو
الذي أقام حواجز المناعة في أجسامنا .. وأنه إن شاء هدم هذه
المناعة ، وإن شاء أعادها وأنه خالق الحر والبرد والصقيع ، وأنه
هو الذي وضع خاصية التغذية في الغذاء وخاصية الإرواء في
الماء ، وخاصية القتل في السم ، وخاصية النفع في الترياق ..
لا شيء له سلطة النفع بذاته .. ولا شيء له سلطة الضرر
بذاته .

ولما ألقى هو الضار النافع وما عدا ذلك أسباب أقامها الله

لعمل بشرته ، والوحيد الصحيح أن نفاهه هو ، لأنه لا شيء

واما من يدخل واستغنى وكتب بالمعنى فعنصره

العاشر (٥ - ١٠ الليل)

لا شيء يستطيع أن يضرنا بدون مشيتنا ، وأن نطعم فيه وحده لأنه من طلب المعرفة على جريمة أعاده عليها وعليه وزر اختياره .

ومن طلب المعرفة على خير أعاده عليه وله ثواب اختياره . وإنما

دور كل منا هو توجيه طاقته .

ولكن الله سبحانه وتعالى هو صاحب الطاقة الكلية ولا يمكن إيقاظ فعل بدونه فهو الوكيل القائم على إيقاظ جميع الأفعال ، وهو إليه الفاعلة وإنما دور القاتل أنه أضر القتل واختاره وفكر فيه وعزم عليه وهذا هو إسهامه الذي سيحاسب عليه .. أما إيقاظ جميع الأفعال فإنه متفرد به .. وهذا قال لمحاربي بدر :

(١٧) فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميته إذ رميته

ولكن الله رمى **هـ** .
مع أن الظاهر أنهم هم الذين قتلو المشركين .. وأن النبي عليه الصلاة والسلام هو الذي رمى .

هذا هو الظاهر . ولكن الحقيد أنها أدوار اختار الله أبطالها منذ الأزل .. اختار للبشر نفوسا علم أنها تحب الشر وعرف أنها لا تصلح إلا للشر يحكم ما أخذه في سرها .. وهذا اختار إبليس للغواية .. لأنه علم فيه الكبر .. واختار حمدا عليه الصلاة والسلام للهداية لما علم فيه من مودة ورحمة .. وهكذا وزع الأدوار بحكم استحقاقات عملها أولا .. ثم أعاد كل واحد على ما يصلح له ..
أعاد المضل على الصلال وأعاد المحادي على المهدى .
(١٤٣) **هـ** ومن يضل الله فمن تجده له سبلا **هـ** .
(١٤٣) **هـ** وكل غدر هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربكم وما كان عطاء ربكم مظروا **هـ** .
ولكته شاء سبحانه وتعالى أن يعلمتنا فقال :

عنه المندى .. ولا في تقصى الأرواح الذى يعتقد فيه الدروز ..
ولا أظن أن الفصل الأول من الرواية كان على هذه الأرض
ولا أنه كان تقمصا سابقاً لحياة بشرية .. إنما هو أمر من أمور
الغيب لا يعلمه إلا الله ، وهو ماضٌ محجوبٌ لن يهتك عنده الستر
إلا يوم يبعث الله من في القبور وتحصل ما في الصدور .

يومئذ تكشف الأسرار ويعرف المجرمون أنفسهم على

حقيقةها فيقولون معتبرين :
﴿ رَبُّنَا أَمْتَنَا اثْنَيْنِ وَأَحَبَّيْنَا اثْنَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذَنْبِنَا فَهَلَّ إِلَى خُرُوجٍ مِّنْ سَبِيلٍ ﴾ .
(۱۱ - غافر)

ولا خروج .. فهل يستطيع أن يخرج إنسان من نفسه أو يتبرأ
إنسان من بدنه « هياهات »

ويسأل سائل .. لمن الملك اليوم ؟
ويجيب السماوات والأرض وتحبيب الملائكة وكل الخلق .. الله
الواحد القهار ، وهو أمر ليس بجديد .. فالمملك كان له دائناً في
ذلك اليوم وفي كل يوم .. ولكن الظاهر في الدنيا كان يخدع من
يراه .. كان يبدو أن البعض الناس ملكاً . وكان يبدو أن الطيب
يشفى وأن السلطان يرزق ، وأن السم يحيط وأن الرصاص تقتل ،
 وأن هذا ينفع وأن ذاك يضر ، وأن هناك جبارين غير الله
يحكمون .

ونسينا ما وصف الله به نفسه في القرآن الكريم بأنه :

﴿ وَيَضْلِلُ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ .
(۲۷ - إبراهيم)

﴿ كَذَلِكَ يَضْلِلُ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مِّنْ مَرْتَابٍ ﴾ .
(۳۴ - غافر)

﴿ كَذَلِكَ يَضْلِلُ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴾ .
(۷۴ - غافر)
 يجعل الفعل الإلهي قاتلاً على استحقاق . وهذا يجعل من
الدنيا كلها تحصيل حاصل لاستحقاقات أزلية استحقتها نفوس
الخلائق بحكم منازلها التي تفاضلت بها أولاً .. وإنما أراد الله أن
نخرج ما نكتم في قلوبنا فخلق هذه الدنيا ليشهد كل منا على
نفسه :

﴿ وَاللَّهُ مَخْرُجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ .
(۷۲ - البقرة)

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَخْرُجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴾ .
(۶۴ - التوبة)
وهذا يعني أن هذه الدنيا هي الفصل الثاني من رواية ، وإنه
كان هناك فصل أول سابق عشناء ولا ذكر عنه شيئاً .. وإننا
بحكم ما قدمنا في هذا الفصل السالف استحققنا ما نجد الآن
من خير وشر .. وأن ما يجد كل منا في حياته هو أشبه بكشف
ال النقاب عما يكتم وعما يخفى في ذات نفسه .

والله يعلم حقيقتنا من القدم ، ويعلم عنا كل شيء . ولكنه
أراد لنا أن نعلم عن أنفسنا بعض ما يعلم فخلق لنا الدنيا لنرى
أنفسنا في أعمالنا .

وليس هذا قوله بتناصح ، فإنما لا أؤمن بالتناصح الذي يتكلم

﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ .

(٣ - الحديد)

فإن كان الطبيب يشفى ، والسلطان يرزق ، والسم يميت ، والراصة تقتل ، فإن الله هو الظاهر في كل هذه المظاهر وهو الفعل الخالص فيها .. وما يجري على جميع الأيدي هو الوجه المنظور للحقيقة في تلك اللحظة .. سبحانه .. كل يوم هو في شأن .. وتلك شعوه ..

وإذا كنا رأينا جبارين من غير الله يحكمون فما حكموا في الحقيقة إلا به .. وإنما تجل حكم الاسم الجبار على نفوسهم لأن تلك النفوس لم تكن لتقبل بحكم استعدادها الأذلي إلا هذا اللون من التجلى .. لم تكن تصلح لأن يتجل عليها الرحيم ولا الودود ولا الرءوف .. ولم تكن لتقبل التجليات الجمالية لآسماء الحليم والكريم والحنان والمنان واللطيف .. فنحن مازلنا مع الله لم يظهر علينا غيره .. هو الظاهر بأسمائه وأفعاله في كل شيء .. ولكن من وراء ستار الأسباب ومن خلف ثواب الكثرة .

وبرغم هذه الكثرة فإنه لا إله إلا الله .. لا فعال سواه ، لا شاف ولا رازق ولا نافع ولا ضار ولا محى ولا ميت ، لا جبار ولا مهيمن غيره .. إنها ذاته الواحدة الفاعلة أبداً زلا .

﴿ إلا تبدو الطاقة الكهربائية في كل مصباح بشكل مختلف حسب نوع الفتيل المعدني داخله .
إلا تبدو الكهرباء في مصابيح النيون بألوان وتألقات متفاوتة حسب نوع الغازات في تلك الأنابيب المفرغة .
ما أشبهها جميعاً بنفوسنا التي تختلف استعداداتها فتختلف أفعالها مع أن الفاعل فيها واحد .. مجرد مثال .

والدنيا كلها مثال رامز للقدرة قدرة الواحد الأحد الذي ليس كمثله شيء وإذا رأيت هذا الواحد من وراء الكثرة وإذا أنت لم تعبأ بهذه الكثرة وشعرت بنفسك تتعامل طول الوقت وجهًا لوجه مع الله فلم تر شافياً لك غيره برغم تعاطيك الدواء واستسلامك لموضع الجراح ، وإذا رأيته هو الذي يطعمك ويستقيك وشعرت بنفسك تأكل من يده وتشرب من يده برغم كثرة المشارب والمطاعم التي تتردد عليها ، وإذا نسيت نفسك ولم تر غيره فأنت المسلم الموحد على وجه التحقيق .

وإغايائى فساد الأعمال من تصور الواحد منا أنه يأتيها وحده .. كما تصور قارون أنه صاحب العلم وصاحب العمل وصاحب الفضل وقال مختالاً وهو يتحدث عن ماله وجاهه : ﴿ إنما أوتتيته على علم عندي ﴾ . (٧٨ - القصص) فلم ير غير نفسه ولم يشهد غير علمه الذاتي ونسى أنه

لا يملك علماً ذاتياً ولا قدرة ذاتية ، وإنما قدرته وعلمه وذكاؤه
كانت كلها هبات سيده وهذا هو الشرك الخفى .. حينما يصبح إله
الواحد نفسه وهواء وملكاته .

﴿ أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهًا هُوَاهُ ﴾ . (٢٣ - المجاية)
وهذا يتبرأ العارفون عن أعمالهم الصالحة ويستدلونها إلى الله
وتوفيقه .

وأكثر من هذا يتبرأ الواحد من إرادته الخيرة ومن نياته الطيبة
ويرى أنها من أفضال سيده .. ثم يتبرأ من نفسه التي بين
جنبيه .. وينسى ذاته .. ويشهد أنه لا يملك من نفسه إلا العدم
وأن كل ماله من الله .. ولا يعود يختار .. وإنما يشهد الله يختار له
في كل لحظة .. ثم لا يعود يشهد إلا الله في كل شيء .. فذلك
هو التوحيد الكامل .. وهذه هي لا إله إلا الله حينما تصبح
حياة .

ونرى دعاء ، أبي الحسن الشاذلي في هذه الحالة من الوجود :
رب خذني إليك مني ، وارزقني الفداء عنى ، ولا تجعلني مفتونا
بنفسي ، محظوظاً بحسى . ونقرأ في المواقف والمخاطبات للنفرى
ما يقوله الله لعبده العارف « ألق الاختيار ألق المسائلة
البنتة » ..

فثواب مثل هذا التوحيد الكامل الذي يلقى فيه العبد
اختياره ويأخذ باختيار الله في كل شيء .. هو المغفرة الكاملة

وعدم المحاسبة . يقول الله في حديثه القدسى إلى المذنب :
لو جنتني بعله قراب الأرض خطايا ولقيتني لا تشرك بي شيئاً
لوجدت عندي ملء قراب الأرض مغفرة .

فتلك ثمرة التوحيد ، وهذا ثواب كلمة لا إله إلا الله ، إذا
جعلها الواحد منا حياته وسلوکه ومنهجه وبنفسه وذوب
قلبه . وهذا ما أراده القرآن الكريم بسلام الوجه لله سبحانه
وتعالى . وهذا ما أراده رسولنا العظيم محمد عليه الصلاة
والسلام ، حينما سأله أحدهم أن يوجز له الدين الذي تلقاه عن
ربه في كلمتين .. فقال كلمته الجامعة : « قل لا إله إلا الله ثم
استقم » ..

وهذه هي الملة الخنيفية ملة أبيينا إبراهيم الذى لم يعرف لنفسه
إله ولا خالقا ولا رازقا ولا شافيا ولا منقذا إلا الله .. والذى
ألقى به في النار وظهر له جبريل يسأله حاجته .. فقال له النبي
العارف الموحد . أما لك فلا ..

إنه في ساعة الخوف والهول والفزع لا يسأل أحداً إلا ربه ..
لأنه لا يرى أحداً يملك له شيئاً حتى ولو كان كبير الملائكة .
الروح القدس نفسه .. فلا فاعل في الكون إلا الله .. ولا يملك
أحد أن ينفع أو يضر إلا بيادنه

وذلك مرتبة عرفانية لا يصل إليها إلا نبي .
وهذا معنى التوحيد .

أليست هذه أسماؤه ... !
وهل نحب حينما نحب إلا أسماء الحسن حيثاً تتحقق وأينما
تحقق .
وهل نحب حينما نحب إلا حضرته الإلهية في كل صورة من
صورها .

والحكيم العارف من أدرك هذه الحقيقة فاتجه بجهة إلى
الأصل .. إلى ربه ولم يلتفت إلى الوسائل ولم يدع برج الألوان
يعطله .. ولم يقف عند الأشخاص .. فهو من أهل العزائم
لا تعلق له إلا بربه .. لقد وفر على نفسه خيبة الأمل وانقطاع
الرجاء وخداع الألوان .

لقد أحب من لا يهجر ، وعشق من لا يفتر ، وتعلق بن
لا يغيب ، وارتبط بن لا يموت ، وصاحب من بيده الأمر كله
وساهم في البنك المركزي الذي يخرج منه النقد جميعه .. وهام
بالودود حقاً ذاتاً وصفاتها وأفعالاً .
وذلك هو مذهب العارفين في الحب .

فهل عرفت ...
وإذا كنت عرفت .. فهل أنت بمستطاع .
وليس كل عارف بمستطاع .
ومذهب العارفين ليس مجرد معرفة .. ولكنه همة واقتدار وكدح
ومغالبة .. والنفس لا تستطيع أن تعشق إلا ما ترى ولا أن

الحب

الحب والهوى والغرام خداع ألوان ، مازراه في المحبوبة مثلاً
نراه في قوس قزح ، جمال ألوان قوس قزح ليس من قوس قزح
نفسه ولكنه من فعل نور الشمس على رذاذ المطر المعلق في
الهواء ... فإذا غابت الشمس وجف المطر اختفت الألوان وذهب
الجمال .

وهكذا محبوبتك جمالها فيها يتجلى عليها من خالقها .. فإذا
انقطع عنها التجلّ شاخت ومرضت وذلت وعادت قبعاً
لا جاذبية فيه .. إن ما كانت تملكه من جمال لم يكن ملكاً لها
 بالأصل ، بل كان قرضاً وسلفة .

حتى السجایا الخلوة والنفوس العذبة والخلال الكريهة هي
بعض ما يتجلى فيها من أسماء خالقنا الكريم الحليم الودود
الرءوف الغفور الرحيم ..

تعلق إلا بما شهد بصرًا وسماعًا وحواساً.

أما تعلق الفؤاد بالذى ليس كمثله شيء فمرتبة عليا لا يوصل إليها إلا بالكدهن والكافح والهمة .. وقبل ذلك كله .. بال توفيق والرضا من صاحب الأمر كله ..

ولهذا أدرك العارفون أن هذا أمر لا يمكن الوصول إليه إلا ركوعاً وسجوداً وابتهالاً وعبادة وطاء: وحضوراً وخشوعاً وندلاً وتجرداً وإن هذه مرتبة لا تدل بشهادة جامعية ولا باجستير أو دكتوراه ، أو تحصيل عقلى .. ولكنها منزلة رفيعة لا مدخل إليها إلا بالإخلاص وسلامة القلب وطهارة البد والقدم والعين والأذن ولا سبيل إليها إلا بخلع التعلين .
تخلع جسدك ونفسك ..

وليس مقصود القوم هنا هو الزهد الفارغ والتبطل .. وإنما أن تخلع حظك وأنانيتك وشهوتك وطمعك وشخصانيتك ، وأن ترتد إلى الطهارة الأولى اللاشخصانية التي تعنى فيها وتحب دون نظر إلى حظ شخصى أو عائد ذائق .. فهي حالة عمل وعطاء وبذل وليس حالة زهد فارغ وتبطل .. وهي في ذروتها حالة فداء وتضحيه في سبيل إعلان كلمة الله .. تضحيه لا تنظر إلى نيشان أو نصب تذكاري .. ولكنها تبذل المال والدم والنفس لوجه الله وحده .

ويقول العارفون أن مائدة الاستشهاد هي أعلى موائد التكريم

ولا دخول إليها إلا ببطاقة دعوة من صاحبها . ولا دخول إليها اقتحاماً أو قهراً وتبجحاً .. وإنما هي دعوة من الكريم يتلقاها صاحب الحظ بالتلبية والهرولة ويتلقاها المحروم بالتكلس ، والتخاذل .. والتخلف ..

ذلك هو الحب في مذهب القوم ، وهو غير الحب في مذهب منتجي أفلام السينما ومؤلفي الرومانسيكيات ، وهو أيضاً غير الحب عند الكثرة الغالبة من الناس .. حيث الحب هو ونارشهوة وجريمة وصدور عارية ومجوهرات . ولحظات تألق بالشعر ثم ما تلبث أن تخبو وتنطفئ وتترك رماداً من الأكاذيب .
﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ . (٢١ - يوسف) (٦٣ - العنبوت)

﴿ بل أكثرهم لا يعقلون﴾ . (١١٦ - الأنعام)

﴿ إن يتبعون إلا الظن﴾ . (٣٦ - يونس)

﴿ وما يتبع أكثرهم إلا ظنا﴾ .
﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾ . (٢٣ - النجم) .

﴿ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل﴾ .
(٤٤ - الفرقان) .

هكذا يعلمنا القرآن أن الكثرة لا تعرف أما العارفون فقليل ما هم ولكن الصحافة التي تناهض الكثرة والسينما التي تتملق الجماهير والمؤلفين الذين يطمعون في الرواج والشعراء الذين

لا أحد يكلف نفسه بصعود الدرج والأغلبية تعيش وتموت في
البردوم ...

ولو كلف أحد منهم نفسه بالصعود .. وتحمل مشقة الصعود
وتشاهد المنظر من فوق ، ليكى ندما على عمر عاشه في البردوم .
بين لذات لا تساوى شيئاً ولكنه الضعف الذي ينخر في الأبدان .
والبشرية تسير من الضعيف إلى الأضعف ، والأجيال الجديدة
أكثر ضعفاً وأكثر تهافتاً على العاجل البائد من اللذات ، واقرأ
المقال من أوله واسأله نفسك .. من أى مرتبة من البشر أنت ..
هل أنت عارف .. وإذا كنت عارفاً .. فهل أنت بمستطاع ..
وابك ماشت من البكاء فلا شيء يستحق أن تبكيه ..
لا فقرك ولا فشلك ولا تخلفك ولا مرضك .. فكل هذا يمكن
تداركه أما الخطيئة التي تستحق أن تبكيها فهي خطيئة البعد عن
إلهك ..
فإن ضيغت إلهك .. فلا شيء سوف يعوضك .
وكل أحلام الشعراه لن تغريك شيئاً .

يتبعهم الغاون يتغدون بألوان أخرى من الحب . ويتهون معا في
أودية الغفلة التي تنتهي بنا إلى جنون قيس وانتحار جولييت
وسقوط راهب تايس ومبادل فالنتينو وجرائم آل كابوف وموائد
مونت كارلو .

والمتعجون عندنا أكثر تواضعاً فهم يكتفون بكمبهات شارع
الهرم .

وهو أمر قديم قدم التاريخ منذ أيام بابل ، ومنذ أيام أنطونيو
وكليوباتره ومنذ أيام الفراعنة والإغريق والرومان .. ونقرأ في
كتاب الموق هذه السطور التي كتبها الحكم المصري منذ خمسة
آلاف عام .

لا تنظر إلى امرأة جارك فقد انحرف ألف رجل عن جادة
الصواب بسبب ذلك .. إنها لحظة قصيرة كالحلم والنوم يتبعها .
إنها معارف قدية منذ أيام آدم .. وقصة بائدة منذ مقتل
هابيل .

ولكن لا أحد يذكر ... ولا أحد يعتبر .. ولا أحد يتعلم من
الدرس .

وأكثر الذين يعرفون لا تنفعهم معرفتهم بسبب ضعف الهم
وتخاذل الأنفس وغلبة الشهوات .

إن السلام إلى الأدوار العليا موجودة طول الوقت ، ولكن

ووقعت المرأة في الفخ .. وخلعت ثوب حيائها .. وعرضت جسها سلعة تنهشها العيون .

قالوا لها البيت سجن ، ولارضاع الأطفال تخلف ، وطهى الطعام بدانية .. مكانك إلى جوار زوجك في المصنوع وفي الأثوييس

وفي الشارع . المرأة من البيت لتبشر ما تصلح له وما لا يصلح له من أعمال .. وألقت باظفالها إلى الشنالة .. وقال لها جسنك ملكك أنت حرّة فيه بلا حسيب ولا رقيب وليس لك إلا حياة واحدة وكل يوم يمضي من أيامك لن يعود .. عيشي حياتك

بالطلول وبالعرض .. إنفني شبابك قبل أن ينعد ، واستمرري أنوثتك قبل أن تشين ولا تعود لها سوق .. وساهم الفن بدوره ليروج هذا المفهوم .. ساهمت السينما والمسرح والإذاعة والأغنية والقصيدة .. ودخلت الغورية إلى البيوت من كل باب وترسّرت إلى القبر ، وختلت الجبل وأشعلت النيل بسعار الشهوات ، وأمرضت القلوب بداء الخيانة .. وأصبحت المثل لإثارة الرغبة والشهوة وإشغال المقابل .. حتى أصبحت المرأة

المرأة ..

نظرة على الشارع وعلى فاترية الأزياء وبجلات المؤضة وصالونات الكوافير وإعلانات الروج والماكير وأنواع الباروكات ، سوف تشعرنا بعدى البنية التي جنتها المضاربة المادية العصرية على عقلية المرأة . ومن الوهلة الأولى سوف نفهم أن هذه المضاربة لم ترق المرأة إلا دمية أو إلهام أو متنة ، لإثارة الرغبة والشهوة وإشغال المقابل .. حتى أصبحت العطر عطر « سكاندال » يعني فضيحة .

مكنا أرادوا بالرّأة حيناً صمموا لها الفساتين ورسموا لها الفتحات على الصدر والظهر ، وحينما حرقوا لها البطنلوفات وضيقوا البلوزات .. واستدرجوا المرأة من غرورها حينها قالوا لها .. ما أجمل صدرك .. ما أجمل كففك .. ما أروع ساقيك .. وأصبحت القدوة هي زوجة هربت من بيت الزوجية .

ما أكثر جاذبيتك حينها يكون كل هذا عارياً .

واحتضنت هوم النبوة .. وكانت الناصح والصديق والأم الرءوم
والسند العين ..

واشتغلت المرأة بالتمريض ، وصاحب النساء أزواجهن في
الغزوات .. جلست المرأة للفقه .. جلست لتلقى العلم ..
وأنشدت النساء الشعر بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام ..
وكان يستزيدها قائلًا هي يا خناس ..

ولم يبع الإسلام التعدد إلا للضرورة وبشرط العدل ..
وما أباح التعدد إلا إيشاراً لأن تكون المرأة زوجة ثانية بدلاً من
أن تكون عشيقة وهذا أكرم ..

ثم جعل القاعدة العامة في الزواج هي الزوجة الواحدة لأن
العدل بين النساء أمر لا يستطيعه الرجال ..

وقد عهد الإسلام إلى الرجل بأن يبني ويعمر ويفتح الأمصار
ويتاجر ، ولكنه عهد إلى المرأة بما هو أشرف من كل هذا
بحضانة الإنسان وتربيته ..

إن الرجل له أن يصنع أي شيء ولكن المرأة وحدها هي التي
سوف تصنع الرجال .. وهذا غاية التكريم وغاية الثقة هل هذا
هو التخلف .. أم أن التخلف الحقيقي هو أن تسير المرأة نصف
عارية حلمها إثارة رجل وغايتها متعة ليلة ، ومثلها الأعلى امرأة
هلوكة يقتل حوالها السكارى مثل الراحلة بيبة كشر .. كم
خدعوك يا أخت ..

وظلت المرأة بنفسها الشطاره والفهلوة فظنت أنها تقدمت على
أيها وجدتها حينما اختارت لنفسها هذه المسالك .. والحقيقة أنها
استدرجت من حيث لا تدري ، وكانت ضحية الإيحاء
والاستهلاك وبريق الألفاظ ، وخداع الفن وأجهزة الإعلام ،
والرأي العام الموجه الذي تصنعه حضارة مادية وثنية لا تؤمن
بـ اللحظة ، ولا تعترف إلا بلذائذ الحس .. الصنم المعبد لكل
إنسان فيها هو نفسه وهواء .. والمحراب هو فاتورة البضائع
الاستهلاكية ، والهدف الذي من أجله يلهث هو إشباع الحاجات
الماجلة ..

ترى كيف كانت نظرة الإسلام للمرأة .. الإسلام المتهم
11. جمعية وانتحل ولبداوة .. الإسلام الذي قالوا عنه إنه أفيون
11. سعوب ..

لم ينظر الإسلام للمرأة على أنها دمية أو لعبة أو متعة ، بل
11. إليها على أنها أم ورأى فيها شريكة عمر لا شريكة ليلة ..
11. عنها القرآن الكريم إنها السكن والمودة والرحمة وقرة
11. ... واختار لها البيت والمحاجب والرجل الواحد تعظيمها
... لها وحفظها عليها ..

11. كانت خديجة لمحمد عليه الصلاة والسلام أكثر من مجرد
11. لقمة أو شريكة فراش ، فقد شاركته الدعوة والرسالة ،

وكم استدرجوك إلى حتفك .. وخلعوك من عرشك وانتزعوك
من خدرك .. وباعوك في أسواق النخاسة رقيقاً شمن بقدر
ما فيها من لحم ..
وأنت نصف الأمة .

ثم إنك تلدين لنا النصف الآخر .. فأنت أمة بأسرها ..
ولا يستطيع الرجل أن يقود التطور وحده .
ترى هل آن الأوان لتعيدى النظر .. ترى هل آن الأوان
لتعرف قدرك وتعرفي دورك .

احترام الجسد

مأساة الإنسان أنه لا يوجد توازن بين نفسه وجسمه ، فالحادية
التي تقطع ساقه لا تقطع رغبته في الجري ، والجراحة التي
تستأصل غدنته التناسلية لا تستأصل رغبته الجنسية .. وحينما
يضعف بصره بالشيخوخة لا تضعف رغبته في الرؤية ، وعندما
يضعف سمعه لا يزهد في الطرف وحينما يضعف بدنه لا تموت
شهوته .. وإنما العكس .. تسقط الأسنان وتزداد الرغبة في
المضغ .. وتبداً المهزلة .

ومن لم يؤدب شبابه لن يستطيع أن يؤدب شيخوخته . ومن لم
يتعرس على كبح نفسه صبياً لن يقدر على ذلك كهلا .. وسوف
تحتحول لذاته فتصبح عين مهانته إذا طال به الأجل .. وهذا نرى
الله يطيل آجال بعض المسرفين ليكونوا مهزلة عصورهم ،
وليصبحوا حكاية ونكتة تتندر بها الأجيال للاعتبار .. حينما

ينحول الفجار والفساق العتاة فيصبح الواحد منهم طفلاً يتبول على نفسه وكسيحاً يحبس وعوقاً ينافق ويتنهه، وتسقط أسنانه التي سبق أن نبت بالألم فینخرها السوس لتقع مرة أخرى بالألم، وتعود أطرافه التي درجت على مشاية فتدرج على عكازين وينحول الوجيه الذي كان مقصوداً من الكل إلى عالة وشيناً نقلاً وكومة من القمامات يتهرب منها الكل .. ثم لا يعود يزوره أحد .. ثم يموت فلا يشييعه مخلوق .. ولا تبكيه عين .. ولا تفتقده أذن .. ولا يذكره إنسان .. وكأنه دابة نفقت في حفرة .. فذلك هو التنكيس .. الذي ذكره القرآن .
﴿ ومن نعمه ننكسه في الخلق أفلأ يعقلون ﴾ .

والسر في هذه المأساة .. أن النفس لا تشين ولا تحرم .. ولا تجري عليها طوارئ الزمان التي تجري على الجسد .. فهي من جوهر آخر غير مادة الجسد الكثيفة المركبة التي يطرأ عليها التحلل والفساد .

فالسائق مايزال محتفظاً بجميع لياقاته وسيظل شاباً على الدوام وإن كانت العربية الشيفرونية الفاخرة قد صدئت آلاتها وأصابها التلف وعجزت عن الحركة .. ولم تعد للسائق حيلة سوى أن يسحبها .. وتلك هي حادثة الشيخوخة .. نفس ما زالت بكامل رغباتها وشهواتها .. ولكن لا حيلة لها مع جسد مشلول لم

يعد يطاوعها .. لا حيلة لها سوى أن تسحبه وتجره على كرسي متحرك .

يقول أهل الله في شطحاتهم الصوفية الجميلة : إزالة التعلقات بعد فناء الآلات من الحالات .

فهم قد فهموا شيئاً أكثر من مجرد أن الأجسام آلات لتنفيذ رغبات النفس ، بل هي أشبه بالسلام يمكن أن يستخدمها أصحابها في الصعود أو في الهبوط .. فالمعدة عضو أكل ولكنها أيضاً عضو صيام إذا تسللت عليها .. وبالمثل الجهاز التناسلي عضو جماع ، ولكنه أيضاً عضو عفة إذا حكمته .. بل إنه لا معنى للعفة بدون وجود نزوع شهواني للأعضاء تقابلها بضبط إرادى من ناحية عقلتك .

وتلك هي الفرصة التي أسموها .. إزالة التعلقات .
وسوف تضيع هذه الفرصة بالشيبة خة وانتهاء الأجل ..
فلا أمل في إزالة التعلقات بعد فناء الآلات فذلك من الحالات .
وبذلك فهموا علاقة النفس بالجسد فهماً جدّهما .. فالنفس تؤدب الجسد ، ولكن الجسد أيضاً يؤدب النفس .. وعملية الردع عملية متبادلة بين الاثنين .

الفرامل المادية مطلوبة لتربيـة الفرامل السلوكية والعكس صحيح .. والأجل المحدود .. يمكن أن يكون عملية إنفاق وتبديد . أو عملية بناء وتشيد .. وبناء الشخصية النفسية

لأسرارها .. وهو مراجحها الذي تصدع عليه للحضره الإلهية .
 وفي حوار شعرى رقيق بين الروح والجسد ، يقول الصوفى
 أبي العزائم على لسان الروح مخاطباً الجسد :
 أيها رسم من سفل تصاغ وترتقى
 فيبين بحال أو صريح كلام
 فيجيئه جسده فائلاً :
 ولو لا ما جاهدت في الله مخلصا
 ولو لا ما شرفت بالإكرام
 ولو لا ظلام الليل لم يعرف الضيا
 وهو كلام دقيق وعميق ، ولو لا المرض لم تعرف الصحة ولو لا
 السواد لم يعرف البياض . وكل شيء لا يجعله إلا نقبيضه
 وبأضدادها تعرف الأشياء .
 والجسم والروح كاللوح والقلم وكالمرأة والوجه وكالشمس
 ونورها .
 وفي أسرار الروح لا ينتهي الكلام .

وتعديلها والارتقاء بها أو الانحطاط بها تحتاج إلى الأسمى
 الجسدي والحرسانة المسلحة من الخلايا .. الروح تحتاج إلى
 الطين .. والطين يحتاج للروح .
 والنمو النفسي والروحي والتقدم المعنوي والتطهير المخلقي
 يحتاج هيكل مادي يعرج عليه صعداً .
 وهذا المعنى ينظر الصوفيون إلى الجسد بتقديس واحترام -
 ولا يحتقرونه - فهو عندهم محراب النفس .
 فالنور في النهاية يخرج من سلك متوجع .
 ونور الشمس يخرج من اندماج ذرات الهيدروجين .
 ونور الغاز يخرج من احتراق الزيت .
 ونور فضائلنا يخرج من احتراق أجسادنا .
 فالجسم قنديل يمكن أن يشع فضيلة .
 والنظر إلى الجسد باعتباره نجس وخطيئة نظرة غير إسلامية
 بل هو أمر مناف للإسلام .. فالإسلام شمولي وجدل ينظر إلى
 الإنسان باعتباره جسد ونفس وروح معاً .. بل إن الإنسان هو
 تفاعل الثلاثة معاً في وقت واحد .. وجسد الإنسان يمكن أن
 يكون هو عين روحه في لحظة .. كما أن روحه يمكن أن تكون عين
 جسده في لحظة أخرى والمسألة تتوقف على النفس هل هي
 صاعدة على سلم الهيكل أو هابطة عليه .
 والجسد عند الصوفية هو مجرد رسم مظلوم للروح ورمز رامز

الشريعة متى .. وكيف

الشريعة أصبحت مطلباً شعبياً وأصبحت موضوعاً للمزايدة بين الأحزاب وأصبحت ورقة انتخابية . وكل هذا طيب وجميل .. إن الكل يريد أن يعود إلى الله ، والكل يتتسابق إلى المنج الإلهي .. هذا حسن .. ولكن البعض يشعر بالإشفاقي .. وهناك أفلام كثيرة تطالب بالوضوح .. وعندها حق .. فقد اختلف العصر واختلفت أنواع السرقات ويخشى البعض أن تقطع اليد التي تسرق عشرة جنيهات ، وتغفى اليد التي تختلس المليون جنيه لأن اجتهاد الفقهاء ألغى الاختلاس من الحد باعتباره لا يدخل تحت النص المحرف لكلمة سرقة كما أن السرقة من مال عام أغفيت هي الأخرى من الحد لوجود شبهة الظلم في المال الحكومي العام مما يجعل من يسرقه شبهة حق فيه .. وبالتالي لا يدخل التزيف والتزوير والرشوة .. كما أن الموظف الذي

يتناقضى عمولة قد تصل إلى عشرات الملايين كما فعل الياباني تاناكا في صفة طائرات لوكيهيد لا يدخل تحت طائلة الحد . ومعنى ذلك أن أخطر مفهوم للسرقة في عالمنا العصرى سوف يخرج من نطاق الحد ومن نص الشريعة ، وسوف يجد اللصوص الكبار ثغرة واسعة يهربون منها بسرقاتهم ولن يقع إلا اللصوص الصغار وتسالوا الأنبياء .

وقد أحسن الزميل أحمد بهجت حينما وصف الشريعة بأنها رحمة ووقاية وصيانة ودفاع عن الضعفاء من بطش الأقوياء ، وأن الحدود ليست إلا السياج من الأسلاك الشائكة المضروب حول هذه المخيمه من الرحمة . وأن الإسلام لم يأت ليزيد في عدد أصحاب العاهات وأنه لا بد من التدرج ، ولا بد من الانتقال بالمجتمع أولاً إلى حالة من الكفاية والعدل ، ولا بد من تيسير الزواج وتسييل العفة وإيقاف هذا السبيل العارم من الغواية والإثارة الشهوانية التي تقوم بها الأفلام السينمائية قد يها وحديثها وهذا العرى في الصورة والأغنية والكلمة قبل أن نطالب شبابنا بالعفة والفضيلة .. لا بد من إصلاح المناخ الاجتماعي والإعلامي والفنى وقطع دابر الاستغلال الاقتصادي بأنواعه قبل أن نأخذ الناس بالشدة وبالعقاب الغليظ .

إن عمر بن الخطاب لم يقطع يداً في عام المعاقة ، والنبي عليه الصلاة والسلام لم يقطع يداً في الحرب وكلاهما كان يطبق

وقدما كان شرب الخمر بلوى عامه وشائعة في المجتمع القرشى ، ولهذا نرى أن الآيات التي نزلت باتخريه نزلت متدرجة .. في البداية نزلت آيات تقول إن للخمر فوائد وإن لها مضر وأن ضرها أكبر من نفعها .. ثم نزلت الآيات حتى تحرم شرب الخمر وقت الصلاة ثم أخيراً نزلت الآيات التي تحرم شرب الخمر إطلاقاً .

وقد كان سبب هذا التدرج في التحرير هو شيعي البلوى وكذلك كان إلغاء الرق في الإسلام بالتصفيه التدريجية بالعتق وأخذ الفدية من الأسير أو إطلاقه دون استرقاق والسبب أن الرق كان هو الآخر بلاء شائعاً وكان تحريره بضربة واحدة باترة معنها خروج ألف المتعطلين والمتسللين بلا عمل سوى السرقة أو الدعارة .. ولأن إلغاء الرق كان أمراً مستحيلاً من طرف واحد فقد كان المسلمون والشركون طرفين في حرب سجال ولو أن المسلمين امتنعوا عن استرقاق الأسرى من طرفهم دون معاملة متساوية في الطرف الآخر لكان هذا الشرع ظلماً للمسلمين الذين يقعون أسرى وأرقاء على الطرف الآخر .. إن شيعي البلوى كان دائياً عاملأ هاماً في التشريع ودافعاً إلى التدرج في الإصلاح ..

إن الحقيقة التي يجب أن يفطن لها الجميع أن الشباب لم ينحرف وحده ولكن البيئة انحرفت والمناخ الاجتماعي انحرف

الشريعة ، لأن كلها فهم الشريعة بمعناها الحقيقي إنها رحمة .. لقد اجتهد الاثنان في فهم الشريعة وفي فهم ظروف تطبيقها .. ومطلوب من فقهائنا أن يجتهدوا وأن يحاولوا أن يتفهموا الظروف الجديدة والأشكال الجديدة المخatarة للسرقة في عصرنا .

إننا نعيش بالفعل في عصر تاناكا .. وأخطر أنواع السرقة هي الرشوة والعمولة والاختلاس ونهب المال العام ، فإذا أخرجنا هذه الجرائم من عقوبة الحد اتباعاً منا للسلف وتقليداً للمفهوم السلفي في تفسير كلمة سرقة ، فإنه يكون تقليداً عن عمادة واتباعاً عن جهل ، وذلك لاختلاف نوعيات الجرائم راحختلف الظروف في العصرین .

ولو أتنا أطلقنا تلك الأفلام الجنسية المسورة على شبابنا وكلها أفلام تأمر بالمنكر وتهنى عن المعروف ، وتحض على الزنا جهاراً نهاراً ، ثم أشهرنا حد الرجم فوق الرقاب لظلمنا وما عدلنا . ولا يمكن أن نحوال مجتمعاً داعراً إلى مجتمع فاضل في يوم وليلة مرسوم وزاري ولا يمكن أن نحوال الهبوط الفني إلى سمو فني في لحظة بقانون ولا أن نقلب البرامج الخفيفة إلى برامج دسمة جادة في طرفة عين .. وإنما لابد من التدرج .

وفي الفقه شيء يسمونه شيعي البلوى .. إن البلوى إذا شاعت وعمت فإنها تكون مدعاة للاستثناء ومدعاة إلى الإصلاح المتدرج .

والفن انحرف والفكر انحرف والسياسة انحرفت .. وفي داخل البرلمان وجدنا تجارة مخدرات يعتضدون بالمحاصنة البرلمانية وفهم زعامات .. إننا بالفعل نعيش في عصر تناناً .. وكبار الصنوص هم الاول يقطع الأيدي ومنتسبو الأسلام الجنسية هم الأول بالرجم وما فنا المخدرات وبعدهم في أعلى المناصب هم الأول بالسوق وإذا ناديتهم بالشريعة فانا أقول نعم وأنا أنادي معكم .. ولكنني أنسأل أولاً .. من يقطعني به من في هذه الفانية .. ومن منكم لم يرتكب خطيئة ليكون الرأسى بأول حجر .. أقول الشريعة واجبه وهي حق ، ولكن الطريق إليها ليس العقاب وحده ولكن الإصلاح أولاً .. لابد من إصلاح اجتماعي يجعل الفضيلة محكمة قبل أن تعاقب تاركها .. ومن ثم لابد من التدرج والأخذ بهذا تطبيق الشريعة على مراحل لأن إصلاح النماذج الاجتماعية والفنى والفكري والسياسي والاقتصادى لا يمكن أن يتم بين يوم وليلة .

هذه نظرة واقعية أعلم أنها لن تتعجب هؤلاء الذين يعلمون بإصلاح كل شيء، بانقلاب وتصورون أن الدفاع الرشاشة يمكن أن ت Nxسم كل شيء، وتألق بالشريعة على ظهور الديبابات ، وأن الفضائل يمكن أن تصنع قهراً وأن الشرف يمكن أن يولد بالطبع . وحسن الدعوة إلى منهج الله بالقول المسن والسلفي المزب . وحسن الدعوة إلى منهج الله بالقول المسن والسلفي المسن . وكل هذه وسائل أكثر فعالية في تطبيق الشريعة من المرايدات

الانتخابية . وفي القرآن يعلمنا ربنا قاتلا في آياته :
﴿وقولوا للناس حسنا﴾ .

ولن تجدوا واحداً من الخمسة والأربعين مليوناً يرفض الحسن
من كل شيء ، والشريعة هي الحسن من كل شيء ، بل هي
الأحسن من كل شيء .

عن التصوف

يحكى لنا عن الملاج الذى كان يقف فى شوارع بغداد
هاتفًا .. أنا الله .. سبحانه ما أعظم شأنى .. ياخلى الله مافي
المجية غير الله ..
وكيف تصيد له قضاته هذه الكلمات وأمثالها وحكموا عليه
بالإعدام بتهمة الكفر .

ويعتذر الصوفية عن الرجل فيقولون : إن مثل هذا الكلام
لا يصح أن يؤخذ على علاته .. فالملائكة صوفى من أهل الواحد
والأحوال .

وهو لم يكن في طوره حينها كان ينطق الكلمات ، وإنما كان في
حالة من الوجود والحب والوله ، وقد بلغ به حبه لله إلى ذروة فناء
في محبوبه فما عاد يدرك لنفسه وجوداً وغاب تماماً عن نفسه
فأصبح الله هو الذي يتكلم على لسانه فيقول : أنا الله .

لا إثباته .. فكل ما نعرف به حينئذ هو مجموع ما نرى من وجود نعتقد أن هو في جملته هو الله .. وهي عبارة مهذبة للإعian بالوجود الموجود ونفي ما عداه أى نفي الله في ذات الوقت .. وهذا تلتقى الفلسفة البوذية والهندية مع الفكر المادي .

وأستبعد أن يكون بوذا لو أنه كان نبياً بحق أن يكون قد قال هذا الكلام .. وربما يكون حاله كحال المسيح الذى شوه اليهود تعالىيه ، وزيفوا أقواله من بعده وادعوا أنه قال أنا رب .. أنا الله .

ولهذا يحرص الصوفية كلها ذكر الخلاج على توضيح أقواله بهذه المذكرة التفسيرية التي يقولون فيها إنه كان غائباً عن نفسه حينما كان يتكلّم .

وأهم من هذه المذكرة التفسيرية في نظرى أن نحاول فهم الله كما قدم لنا نفسه في القرآن .
والله في القرآن هو المتعال .

هو متعال على خلقه ، كما يتعال الصانع على صنعته ، وكما يتعال الفاعل على المفعول .. وهو ليس في « وحدة وجود » مع صنعته ، وليس متحداً بها ولا حالاً فيها .. كما تصنع أنت المотор فلا تكون متحدة به ولا حالاً فيه .. وإنما تكون متعالاً عليه .. لو كان للمotor لسان ، ولو أنه تكلّم وقال لن أتحرك .. فإنك تقول له بل تتحرك وتوصل أسلاكه بالكهرباء فتدبره برغم أنفه ..

ويسعون هذه اللحظة لحظة الشهد .. أو التجلّى حينما ينبعن الله على قلب عيده فينسحق العبد ويغنى ويصبح عندما ويصبح الحضور الله ولا سواه ، والكلمة الله ولا سواه .
وشائنة في ذلك شأن المجنوب المسلوب اللب والغزاد

والعقل ... والصوفى كذلك يجذب إلى الحضرة الجلالية جذباً لا حيلة له فيه فيرفع إلى حال من الرؤية وإلى جرعة من الحق أكبر من طاقته ، فتفقده العقل والقدرة وتذروه تراباً مثل الجبل الذى اندرك دكاً ، وموسى الذى خر صقاً .

وتنتلى كتب الصوفية بمثل هذه المواقف ، وبمثل هذه المواجه والحالات وتستفيض في وصفها .. ولا غلظ حيالها إلا التحفظ الشديد .

ورأى أن هذا الجانب من الصوفية ، هو وادٍ كثیر المھالك ..
ومزلك خطراً .. وأن السير فيه يضر أكثر مما ينفع .
وأخطر ما في هذا المزلك أنه يمكن أن يجر الصوفى إلى فكرة وحدة الوجود .. وهي الفكرة التي تقوم عليها الفلسفة الهندية ، والتي تقول بوحدة الخالق والخلق ، وأن الله حال في مخلوقاته متعدد بهم .. وأنه هو وهم واحد .. فهو القاتل والقتيل والسكنى ..
وهو الذي خلقهم معاً في وقت واحد .. وفي جراب واحد .. بمثل ما يقول الخلاج .. إن الله في الجبة .. وهو كلام إذا مددناه على استقامته بالطريقة الفلسفية ينتهي بنا إلى نفي وجود الله .

فأنت متعال عليه .. وأنت القاهر بالنسبة له .

وبالمثل الله في القرآن هو القاهر فوق عباده . و « فوق » هنا لا تعنى المكان ، وإنما تعنى فوقية في الرتبة .. لأن الله متعال على المكان أيضا .. وهو أيضا متعال على الزمان ، فهو لا يتعين في حيز ولا هو يتزمن بفترة .. وهذا كان الأول والآخر والظاهر والباطن .. الأول قبل الزمان وقبل الوجود لأنه خالق للزمان والوجود .. والآخر بعد انتهاء الزمان وانتهاء الوجود ، لأنه الباقى بعد الكل . وهو الظاهر . وليس معنى ذلك أنه الخلاج أو غير الخلاج وإنما المقصود بكونه « الظاهر والباطن » .. إن الظاهر هو فعله .. والباطن ذاته .. وكل ما نرى ويظهر لنا ويجرى علينا هو بعض أفعاله .. فكلمة الظاهر هنا مقصود بها وجه الشعور .. الظاهر اليوم وبالأمس وعبر القرون الماضية والقرون الآتية كل ذلك فعله . ثم من قبل ذلك هو كائن فهو الأول ومن بعد ذلك يكون فهو الآخر .

والاتحاد بالله لا يقول به الإسلام لأنه غير ممكن .. وإنما الإسلام يقول بالقرب والبعد والجمع والفرق .. فهناك المقربون مثل الأنبياء والشهداء والصديقين .. وهناك المبعدون مثل الكفار . والصالحون مجموعون على الله .

وال مجرمون مفرقون عنه .
وهذا هو الجمع والفرق .

أما الاتحاد والوحدة والحلول فهي أمور يتنزه عنها الله .. فهو العلي المتعال عن هذه الصفات .

و الله في القرآن هو الأحد .. والفرق بين الأحد والواحد أن الأحد لا ينقسم ولا يتجزأ وليس له بعض أو نصف . ولهذا فهو « السلام » لأنه لا ينقسم على نفسه ... وأنه يجمع الأضداد في تكامل لا تناقض فيه .. فهو المعز المذل الباسط القابض الرافع المخافض النافع الضار .. هو جامع هذه الأضداد دون تناقض ودون تصارع ، فيجمع في ذاته النفع والضر والجبروت والرحمة في وحدة سلام لا تتقبل القسمة .. وهي ذروة في الكمال لا تصل إليها إفهامنا .

وقد نفهم نحن هذه الوحدة الداخلية بعض الشيء حينما نتوحد نحن أيضاً في داخلنا .. فتكون نية الواحدة منا مثل قوله مثل فعله ، فيكون واحداً قلباً وعقلاً وعاطفة وعملاً .. وهو ما نصيّر إليه بالتوحيد وعبادة الواحد والتزام الطريق . والله في القرآن هو الحى وما سوا هالك أو صائر إلى هلاك .. وإذا كنا نحيا اليوم فإنما نحيا به بمدده فهو الحى الذي به الحياة فإذا انقطع مدده لم يبق لنا من وجودنا إلا العدم . وهذا معنى كلمة « قيوم » أي أنه يقيمنا .. وأننا به نقوم ، كما أن الأفلاك والنجوم يسوّكها بقبضته جارية بقوائمه فهو قيومها .. وهو قيوم كل شيء .. قيوم هذه الحياة ، وقيوم الحياة

الأخرى حينما يقمنا من الموت فلا يمكن أن يقوم أى شيء
أو يوجد إلا بفضله .

وهو البصير بلا بصر ، والسميع بلا سمع ، والمتكلم بلا كلام
وبلا حروف .. فالله لا يبصر بعين كما نبصر نحن ، ولا يسمع
بأنف ولا يتكلم بلسان .. وإنما الله يبصر بذاته ويسمع بذاته
ويتكلم بذاته ، بلا أدوات وبلا حروف وبلا لغة .. وكلمة الله
روح وإرادة ومشيئة ، يقول لنا الله في القرآن إن المسيح « كلمنه
القاها إلى مريم وروح منه » فالمسيح كلمنه كما أن آدم كلمنه .
وهو الخالق البارئ المصور . الخالق في الملائكة حيث خلقنا
نفوساً بكلماته وعلمه . والبارئ حينما أعطى تلك النفوس رخصة
الوجود ، كما يعطي الملك براءة الوسام ، فيصبح للمواطن الحق
في أن يلبسه والرخصة في حمله .. وهو رمز لإطلاق تلك النفوس
من قبضته .

ومصور حينما أنزل تلك النفوس إلى الدنيا بأمره وصور لها
قوالبها في الأرحام .. « يصوركم في الأرحام كيف يشاء » .
وهو النور .

ونور الله هو ما يقذف في الضمائر والسرائر ، وهو نور
الفطرة والبيبة ، نور العقل الذي يكشف به الحق من
الباطل .. ولا يقصد به نور الشمس أو الكهرباء أو النجوم ،
فكثير تلك الأنوار ظواهر مخلوقة مصيرها إلى الانطفاء .

وهو الصمد من الصود والثبات والاستقرار حيث كل شيء
من حوله يضطرب ويتغير ، وهو الصمد الذي لا يتغير
ولا يضطرب كالمرساة وسط البحر يوج من حولها البحر
ويضطرب ولا ملاذ للسفن من هذا الضطراب إلا اللجوء إلى
المرساة واللواذ بها ، وهو لهذا الصمد الذي يصمد إليه ويلجأ إليه
من دوامة الخيالات والأوهام والأضاليل التي اسمها الدنيا .

والصمد يعني المصمت المتداامج .. فكل شيء مخلخل له جوف
إلا هو .. والمادة كلها مخلخلة والذررة مخلخلة وبجميع مكونات الذرة
مخلخلة ، لأنها تركيبات من أجزاء مآها العطب والفساد
والانحلال .. ماعدا هو .. الجوهر الفرد .. الذي لا يتألف من
أجزاء ولا عناصر ، المصمت بلا جوف .. الأحد الصمد .
وهو الرحمن من مطلق الرحمة .. فيرحم بالعذاب وبالعقاب

كما تضرب ابنك المذنب رحمة له وتأديباً .
وهو الرحيم بالمعنى الخاص والخاص للرحمة فمفتحها خالصة

لأحبابه .
وهو اللطيف أي الخفى الشديد الخفاء في
فيخيل لك أنك أنت الذي تفعل . ويخترع
الذي يخترع ، لأنه أحال عليك الآء
وأعطاك المواد الخام وأعطيك العقل

والخشب وأهلك قوانين الطفو فاخترعت السفينة وهي في الحقيقة من خلقه .

﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ النَّشَاتُ فِي الْبَعْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ .

(٢٤ - الرحمن)
﴿ وَسَخَرَ لَكُمُ الْفَلَكُ لِتَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ﴾ .

(٣٢ - إبراهيم)
ولكنه يعمل من وراء حجاب الأسباب فيخيل إليك أنك أنت الذي تعمل .

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَ اللَّهُ رَمَى ﴾ .
وهو يفعل ذلك بلطف وخفاء واستسرار لا يدرك .
وبيك كونك مخيراً وكونك مسيراً خطط دقيق كالشجرة لا يبين .

فأنت مخير في النية والضمير والسريرة .. ثم هو في الخارج يجري عليك الأسباب والمقادير لتخرج ما تكتمه وتتبليس بحقيقةتك .

﴿ وَاللَّهُ مَخْرُجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . (٧٢ - البقرة)
وهذا غاية اللطف والخفاء .

في هذا البحر الملىء بالخفايا يخوض الصوفية وهذا تکثر بينهم المهالك ويصل منهم الكثير وينتطل على الواحد منهم الحال في لحظة الوجد والجذب فيقول : « أنا الله » .

ولهذا نصح بعض الأئمة من المسلمين بتجنب طرق الصوفية .. وقالوا في ذلك إن النبي الذي أمرنا جميعاً بأن نتخد منه أسوة ، لم يعرف عنه حال الجذب ولا كان من أهل المواجه ، ولم يذكر لنا التاريخ أنه راح مرة في غيبة الحب هذه ولا كذلك عيسى ولا إبراهيم وهو الخليل الذي كان يكلمه الله كما يكلم الخليل خليله .. وحينما خر موسى صعقاً عندما طلب رؤية الله كان ذلك من الله تحذيراً وعقاباً لأن موسى طلب ما لا يجوز طلبه .

وهؤلاء هم الأنبياء أهل القدوة والأسوة والآباء .
والمؤمن الصالح في الإسلام هو رجل عامل وليس رجلاً معزلاً متأملاً في الخلوات .. ولو كان أبو بكر وعمر صوفيين من طراز الحاج لما قام للإسلام ببنيان وما ارتفعت له أركان شداد .
ويرد الغزالى على ذلك فيقول إن الصوف بالفعل ليس هو النموذج العام الذى يطلب من المسلم اتباعه .. وعامة المسلمين غير مندوبيين إلى الصوفية .. والصوفية في النهاية هم خاصة الخاصة وقلة القلة من القادرين المؤهلين على الجهاد الأكبر بترويض النفس ومخالفة الهوى والسلوك في بحار الغيوب واستطلاع الأعمق والأسرار .. وقد أراد الله أن تكون كثرة الناس من أهل الغفلة ليشتغلوا بعمارة الدنيا .. واستصفى القلة وقلة القلة لنفسه ..

والنبي عاش الصوفية والعزلة في مرحلة غار حراء التي استمرت أكثر من أربع عشرة سنة .. وأقواله وأحاديثه تشهد على الجانب الصوفي في شخصيته .

وبالمثل نجد هذا الجانب الصوفي واضحًا في رجل مثل على بن أبي طالب .

ونجد عيسى يعتزل الناس في خلوة تأمل مع نفسه يقضيها في البرية قبل أن يعود فينزل للناس .

ونجد موسى في خلوة الأربعين يوماً ينفذ شبيبة إلهية وشرطاً للتأهل والاستعداد ليصل إلى اللياقة والصلاحية الروحية لنزول الألواح عليه .

إن الجانب الصوفي كان دائمًا جزءاً لا يتجزأ من النبوة وإنما اختلف الأنبياء عن غيرهم في كمال شخصياتهم فجمعوا بين الفكر والعمل .. وبين العزلة عن الناس والتزول إلى الناس . وهذا الكمال لا يتيسر للكثيرين .. وإنما نجد في الكثرة طغيان جانب على جانب .. فنجد من تطغى على شخصيته خصائص العمل ومن تطغى على شخصيته خصائص العزلة والتأمل .

ووجود الصوفي المتأمل والكاتب كالغزالى وابن عطاء الله والمحبلى ، لا يمنع قيام رجل الفعل والعمل والقيادة كعمر وأبى بكر وخالد بن الوليد .

وإنما هو النوع الضروري والطبيعي للشخصية الإنسانية كما تتتنوع بصمات الأصابع .. ولا يحق لنا أن نتصادر قيام نوع ونوجب قيام نوع .. بحججة أن هذا مع الإسلام وهذا ضد .. فإنها تكون مصادرة باطلة حتى من ناحية العقيدة .. فلم يخل القرآن من اللمحات الصوفية .. فهو في أكثر من مكان يصف الدنيا بأنها هو ولعب ، وأنها حصاد الغرور ، وبخضنا على الزهد في بريقتها .. وهي نظرة صوفية .

وهو في عالم الشهادة لا يرى مشهوداً إلا الله وأفعاله ويقول لنا :

﴿ أينما تولوا فثم وجه الله ﴾ .

.. ويأمرنا أن نشهد بأن لا إله إلا الله .. وبأن لا مشهود بحق سواه .. ولا موجود بحق سواه .. وهي نظرة صوفية . ومن أسماء الله أنه .. « الحق » .. وما سواه باطل وهي نظرة صوفية .

الصوفية إذن في جوهر الدين وليس ابتداعاً في الدين . ويصبح أن نسميتها درجة تخصص .. يحرص أصحابه على استصحابه الدين من مرتبة الطقوسية إلى مرتبة الحب ، فتكون العبادة عندهم حباً لا طقساً .

وهم يبحثون عن الحقيقة لا لينقضوا بها الشريعة ليزكدوها ويزيدوها ثبيتاً .. والصوفي الحق سلوكه عين

وإن هام قلبه مع الحقيقة .

ومع ذلك يجب أن نعرف أن الصوفى السالك يمكن أن يضل
وتحتليط عليه الأمور ويكون ضرره أكثر من نفعه .

والقائلون بأن أودية الصوفية هي أودية المهالك .. عندهم
بعض الحق .. فالصوفى سالك في بحار الغيب . وهو لهذا معرض
لكل الأخطار ، وأهون هذه الأخطار . الفرق في التيه ..
والجذب .. وذهب العقل .

ولكن الناجى الفائز في هذه المسالك هو الناطق بالدرر
المتحدث بالجوهر .

ونجد هذه الدرر والجواهر في تراث الصوفية الذى خلفه لنا
الأئمة العظام .. ولن نجد الواصل الحق منهم يقول :
« أنا الله » .. بل يقول : « هو الله » .. فهذه نهاية المطاف في
رحلة الحج في دروب الغيب .

« هو الله »

« هو »

كلمة « هو »

التي لا تعنى أكثر من مجرد إشارة إلى ما تعجز عنه جميع
الألفاظ والعبارات .. وما لا تحيط به اللغات .

« هو » .

محض إشارة .

ثم تسكت الألسن .. وتجف الأقلام .. وترفع الصحف .. ثم
لا تبقى إلا العينان تدمعن بما لا سبيل إلى التعبير عنه .

سبحانه وتعالى عما يصفون .
 فهو لا يوصف .. وما وصف نفسه إلا تنزلاً لتدركه
أفهمنا .. وما أطلق على نفسه الأسماء إلا تنزلاً منه لندعوه .
ولكنه فوق الأسماء والصفات .. فلا هو روح ولا هو جسد
ولا هو مادة ولا هو صورة ولا هو معنى ولا هو فكرة ولا هو
شيء .. ولا هو بن يحل في زمان ولا هو بن يتحيز في مكان
ولا هو بن يتعدد أو ينتزج أو ينقسم أو يتعدد .. إنما هو غير كل
هذا .

وهو متعال على كل ما نعرف .

وهو غيب الغيب .
وغاية ما يصل إليه العقل في تصور الله هو .. البهت ..
والحيرة .. والعجز ..
وذروة المعرفة هي العجز عن المعرفة لهذا الأمر الذي يملأ
القلب ولا يجد له اللسان وصفاً ولا تعبيراً .

لا سبيل إليه إلا بالإسرة .
ولهذا حفل القرآن بالإشارات .. الم .. الر .. حم .. ن ..
ص .. ق .. وذلك حينما تقطعت أنفاس العبارات عن بلوغ

مراميه .. فلم تبق إلا الإيماءة .. والمحروف المرتجلة التي تشير إلى الإيمان .
« هو »

- والذين اقتحموا العقبة وفكروا الرقبة وأطعمو المسكيه واليتيم في يوم ذي مسغبة ويوم ذي مترفة .
- والذين أينما تولوا فليس ثمة إلا وجه الله ما يرنه أمامهم .
- والذين يذكرون الله في أنفسهم تضرعاً وخيفة دون الجهر من القول في الغدو والأصال ولا يغفلون مع الغافلين .
- والذين يصبرون أنفسهم مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا يعدون بأعينهم عنهم يريدون زينة الحياة الدنيا ولا يطعون من أغفل الله قلوبهم عن ذكره .
- والذين لا يرون في الدنيا إلا أنها لهو ولعب وتفاخر وتکاثر في الأموال والأولاد وأنها مثل زرع أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصرا ثم يكون حطاما .
- والذين التزموا أمر القرآن ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين .
- والذين أخلصهم الله بخالصة ذكرى الدار ، والذين هم عنده لمن المصطفين الأخبار .

أليست كل هذه الصفات في مجموعها هي ما ينطبق على المثلث الصوفى ، والمنهج الصوفى في التجدد وإخلاص الوجه لله وتفریغ القلب من شواغل الدنيا وجمع الهمة في الذكر ، وتعظيم الوقت بالعبادة سجوداً وركوعاً وقياماً وتهجداً وبكاءً ودعاً .

نهاية الرحلة التي يحج فيها العقل إلى الحقيقة . وهو إذ يبلغها .. لا يبقى له إلا أن يطوف عريانا العقل خاشع القلب .. مسلم الحواس .. وقد أسلم الفعل للفاعل .. وأسلمت الإرادة للمرید .. وأسلمت القوة للقوى .. وأسلم الحول لمن لا حول ولا قوة إلا به .

- ونسائل المنكرين ..
- من هم هؤلاء الذين وصفهم القرآن بأنهم :
 - يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً .
 - والذين قليلاً من الليل ما يهجنون وبالأسحار هم يستغفرون .
- والذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتذكرون في خلق السموات والأرض .

- والذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم .

- والذين إذا سمعوا آياته خروا إلى الأذقان سجداً وبكياً .

- والذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

ثُمَّ مِنْ هُمْ أَقْدَرُ النَّاسَ عَلَى تَجْسِيدِ كَلْمَةِ الشَّهَادَةِ : «أَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» .

مِنْ تَرْفُعِ عِنْهُمُ الْعِقِيدَةِ إِلَى دَرْجَةِ الشَّهُودِ .. بَلْ وَحْدَةُ
الشَّهُودِ . فَلَا يَرَوْنَ إِلَّا اللَّهَ فِي جَمِيعِ مَا يَجْرِي حَوْلَهُمْ مِنْ أَحْكَامٍ .
إِنْ كَلْمَةً «أَشْهَدُ» تَكَادُ تَخْصُ الصَّوْفِيَّةَ وَتَصْنَفُهُمْ وَحْدَهُمْ فَإِنْ
عُمُومُ النَّاسِ يَرَدُّونَ كَلْمَةً «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» بِعَنْ
«أَقْرَأَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» .. وَلَكِنْ «أَشْهَدُ» فِيهَا خَصُوصَاتٍ
مَعْنَى أَقْوَى مِنْ بَرْجُورِ الإِقْرَارِ الْمُنْطَقِيِّ أَوِ الْعُقْلِيِّ ، فَهِيَ شَهُودٌ
بِالْعَيْنِ وَبِالْقَلْبِ وَذَلِكَ أَمْرٌ لَا يُسْتَطِعُ أَنْ يَبَاشِرَهُ إِلَّا صَوْفٌ بَلْغٌ فِي
إِسْلَامِهِ مَرْتَبَةُ الْإِحْسَانِ .. فَهُوَ يَعْبُدُ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ .. وَتَفَطَّنَ فِي
كَلْمَةِ الْحَدِيثِ .. «كَأَنَّهُ يَرَاهُ» .. إِنَّهُ يَحْكِيُّ عَنْ «نُوعِ
شَهُودٍ» .. فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكُ .. وَتَلِكَ هِيَ الْمَرْتَبَةُ الْأَدْنِيَّ
الَّتِي يَكُنْ أَنْ يُشَتَّرِكُ فِيهَا الْكَثْرَةُ الْبَاقِيَّةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُحْسِنِينَ .
إِنَّ الصَّوْفِيِّينَ الْمُخْلَصِينَ قَدْ اسْتَصْفَوْا بِالْفَعْلِ مِنَ الْقُرْآنِ أَعْلَى
مَرَاتِبِهِ وَتَنْطِيقِهِ عَلَيْهِمُ الْآيَةِ ..

﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾
وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ الْقُرْآنَ يَشْتَمِلُ عَلَى أَوْامِرَ الْعَامَةِ وَأَوْامِرَ
لِلْخَاصَّةِ الَّذِينَ يَرِيدُونَ الْقَرْبَى وَالْزَّلْفَى .
لِلْأُولَئِنِ يَقُولُ : اتَّقُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطِعْنَا .
وَلِلآخَرِينَ يَقُولُ : اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ نِقَاتِهِ .

فَلِمَّا لَا يُطِيقُ بَعْضُ الْقَوْمِ ذِكْرَ التَّصُوفِ وَالصَّوْفِيَّةِ وَيَرَوْنَ
فِيهَا بَدْعًا مِنَ الْأَمْرِ .

وَإِذَا تَرَكَنَا الْلَّفْظَةَ نَفْسَهَا .. لَفْظَةُ الصَّوْفِيَّةِ .. أَلِيَّسَ الْمَضْمُونُ
وَالْمَعْنَوِيُّ هُوَ ذَاتُ الْمَضْمُونِ وَالْمَحْتَوِيُّ الَّذِي وَصَفَهُ الْقُرْآنُ .
وَلَا نَقْصُدُ بِالصَّوْفِيَّةِ فِي كَلَامِنَا أَهْلَ الْجَرْقِ وَالشَّعُوذَاتِ
وَالْمُتَسَوِّلِينَ الَّذِينَ رَفَضُوا الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ ، وَغَالَوْا فِي الزَّهْدِ
وَصَامُوا الدَّهْرَ وَانْقَطَعُوا عَنِ النِّسَاءِ ، فَتَلِكَ انْحِرَافَاتٍ نَجَدَهَا فِي
كُلِّ مِنْذِهِ وَفِي كُلِّ مَلَةٍ وَهِيَ لَا تَدِينُ الْمِنْذِهِ وَلَكِنَّهَا تَدِينُ
أَصْحَابَهَا .. فَالشَّعُوذُونَ فِي الْطَّبِّ لَيْسُوا حَاجَةً عَلَى الْطَّبِّ وَلَكِنَّهُمْ
حَاجَةٌ عَلَى أَنفُسِهِمْ .. وَمَا زَالَ الْطَّبُ عَلَيْهِ مُحْتَرِمًا بِرَغْمِ أَنْ بَعْضَ
أَهْلِهِ انْهَرَفُوا وَاتَّخَذُوهُ تِجَارَةً وَتَدْجِيلًا .. وَلَا خَلَفَ أَنَّا ضَدُّ
الْمُنْحَرِفِينَ مِنْ كُلِّ مَلَةٍ وَقَدْ كَبَّنَا وَأَفْضَلَنَا فِي انْحِرَافَاتِ بَعْضِ
الصَّوْفِيِّينَ وَرَفَضَنَاهُمْ .

وَلَكِنْ إِذَا قَصَرْنَا كَلَامَنَا عَلَى الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ مِنَ الصَّوْفِيَّةِ كَمَا
عَلَمْنَاهَا مِنَ الْكَبَارِ الْكَمْلِ أَمْثَالِ الشَّاذِلِيِّ وَالرَّفَاعِيِّ وَالنَّفْرِيِّ
يَا بْنَ عَطَاءِ اللَّهِ السَّكَنْدَرِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَكَابِرِ مِنْ أَهْلِ
الْمَجَاهِدَاتِ .. فَنَحْنُ فِي صَمِيمِ الْإِسْلَامِ لَمْ نُخْرِجْ عَنْهُ ، بَلْ نَحْنُ
فِي الْقَلْبِ مِنَ الْعِقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَنَحْنُ فِي الْمَرْتَبَةِ الْعُلَيَا الَّتِي قَالَ
عَنْهَا الْحَدِيثُ إِنَّهَا مَرْتَبَةُ الْإِحْسَانِ .. وَذَلِكَ بِأَنَّ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ
تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ .. فَإِنَّهُ يَرَاكُ .

والصوفيون الكمل من أهل الله يختارون أحسن ما أنزل إليهم من الأمر ليكونوا أكثر قرباً وخلفي ، ولتكونوا أهل الله الذين هم أهله .. وفي ذلك فليتناقش المتنافسون .

هنا بالحق المجال الذي يستحق أن يتناقش فيه الناس ، وليس مكاسب الدنيا وعرضها الزائل .. فذلك هو المجال الشيطاني للتنافس .. وذلك هو التنافس السهل .. ولا يشر إلا عرضاً زائلاً .

أما التنافس الآخر على رضا الله والقرب منه فهو الذي يشعر نعيماً باقياً ورضواناً أكبر لا حد له ولا منتهى .
وهم أقرب ما يكونون إلى الملائكة .. الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون .

إن التراث الصوفي في الإسلام ، خاصة التراث الصوفي السفي الملتزم ، القائم على الشريعة ، لا ينحرب بالإسلام .. ولكنه يؤكده ويشرحه .. وهو تتمة ومذكرة إيضاحية مهمة عن معنى الدين ، ومعنى الإسلام على وعلماً وعملاً و مباشرة وقدرة .. وهو جدير منا بأن نقرأه ونتفهمه ونتحققه ونستصفى أحسن ما فيه .. ففيه إلا الغواصون الذين أفردهم الله وعلمهم كيف تكون ملاحة الأعماق ، واصطياد الحقائق .

الفردية والتفرد

عرفنا بصمة الأصبع كعلامة مميزة لشخصية صاحبها وعرفنا أنه منذ آدم لم تتشابه بصماته حتى بين أبناء البطن الواحدة وحتى بين التوائم . واليوم نعرف أن للأسنان بصمة ، وكذلك للشفتين بصمة ، وللأذن بصمة وللصوت بصمة .. بل إن البروتين الذي تتكون منه خلايانا له في كل منا بصمة والكرات البيضاء في دمائنا هي الأخرى مدموعة وبصورة علامات مميزة على سطحها بحيث يتميز كل واحد فيما باركة وهوية مادية ينفرد بها . وهذا التوكيد من الخالق على فردية كل واحد مما دليل على أصلية هذه الفردية وأنها غير قابلة للتذوبان ولا يصح لها أن تذوب في المجموع ، إلا إذا قرر صاحبها أن يضحي بها ويتنازل عنها وينديها فعلاً في مبدأ أو في رسالة أو في هدف شريف أو هدف غوغائي ، وإن هذه الفردية هي أمانتنا وأتنا مستولون عنها يوم

القيمة .. وإن شدّر ملِن يتعلّم بالتجربة ولا حرج له يقول :
﴿إِنَّا أَشْرَكَ أَبَاوْنَا مِنْ قَبْلِهِ وَكُنَّا فِي شَرٍّ﴾

القيمة .. وله عذر لمن يتعلل بالتجهيز ولا حرج له من يقول :
إذا أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفهمكنا
أيما فعل المبطلون

على الحق ولو بتبليك ولو في خاصية سرتك ، وقد أعطيتك سريره

لَا يُعْدِرُ عَلَيْهَا الْجَدِيدُ وَلَا النَّارُ، وَلَا سُلْطَانٌ لِشَيْطَانٍ عَلَيْهَا وَلَوْ

كان من مردة الجن .. وقد قال الله الشهيدان من قبل :

ابن عبادی ليس لك عليهم سلطان .

• جسمانی = ۶۰

حيثما يطيل حجة الكافرين ويخرس اللئذ المجرمين ويعترف الأيدي والأرجل على أصحابها ويظهر الحق ويزهق الباطل .

وَيَقُولُ إِنَّهُ تَعَالٰى :

فهذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات مجربي من
فتحتها الأنوار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه
ذلك الفوز العظيم ﴿١٩﴾ (١٩ - المائدة)

وَهُذَا مُتْنَهِي التَّدْلِيلُ وَالشَّرِيفُ لِلصَّادقِينَ أَنْ يَقَالُ عَنْهُ إِنَّمَا

بـرضـنـ عـزـ رـتـمـ وـطـ سـيـانـهـ وـتـالـ مـنـزـهـ عـنـ حـكـمـناـ عـلـيـهـ ، وـهـوـ

مستحب للحدث والظواهير كلها، مما يغسل ولا حاجة له في رضانا.

الكتاب لفتة المحب للغفران: الصادقة، فلا حرجه إذن للتخلع بالمجتمع

٦٣- بـِ الْمَطَافِ، الْعَائِلَةِ، الْقُصْلَةِ فَقْدَ أَفْدَ اللَّهَ كُلَا مَنْعَصَ

ويبيه واعروره وتصدره أن أفقاً واحداً أتماء المجتمع والظروف

سیزدهم اکتبر ۱۹۷۰

وَيُؤْكِدُ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْفَرْدَيَةَ وَيَأْنِيهَا مَنَاطِ الْمَحَاسِبَةِ ، وَيَأْنِسَا
بِتَبَيِّنِهِ وَالْجَاهِلَةِ وَسَبِيلُهُ إِلَى بَيْسِنْجِنْ -

سوف نلتقي باهـ أفراداً لا جماعات .

﴿ وكلهم آتـهـ يوم القيمة فرداً ﴾ . (٩٥ - مريم)

﴿ ونـزـهـ ماـ يـقـولـ وـيـأـتـيـناـ فـرـدـاـ ﴾ . (٨٠ - مريم)

﴿ ولـقـدـ جـتـتـمـونـاـ فـرـادـىـ كـمـاـ خـلـقـنـاـكـمـ أـوـلـ مـرـةـ وـنـرـكـتـمـ ماـ خـولـنـاـكـمـ وـرـاءـ ظـهـورـكـمـ وـمـاـ نـرـىـ مـعـكـمـ شـفـعـاءـكـمـ الـذـينـ زـعـمـتـ أـنـهـمـ فـيـكـمـ شـرـكـاءـ لـقـدـ تـقـطـعـ بـيـنـكـمـ وـضـلـ عـنـكـمـ مـاـ كـنـتـمـ تـزـعـمـونـ ﴾ . (٩٤ - الأنعام)

﴿ ذـرـنـيـ وـمـنـ خـلـقـتـ وـحـيدـاـ ﴾ . (١١ - المدثر)

إنـ هـذـاـ المـوـقـفـ الـهـائـلـ سـيـقـهـ كـلـ مـنـاـ وـحـدهـ فـرـداـ مـنـفـرـداـ أـمـامـ اللـهـ الـفـرـدـ الصـدـ مـصـدـاقـاـ لـلـوـحـدـانـيـةـ الـمـطـلـقـةـ فـيـ الـمـسـؤـلـيـةـ وـالـوـحـدـانـيـةـ الـمـطـلـقـةـ فـيـ الـحـكـمـ .

﴿ لـمـنـ الـمـلـكـ الـيـوـمـ اللـهـ الـواـحـدـ الـقـهـارـ ﴾ .

(١٦ - غافر)
فردـ أـمـامـ فـرـدـ .. وـفـرـدـانـيـةـ كـلـ مـنـاـ حـقـ بـثـلـ مـاـ أـنـ فـرـدـانـيـةـ اللـهـ حـقـ وـكـلـ مـنـاـ وـاحـدـ صـحـيـحـ لـاـ يـقـبـلـ الـقـسـةـ .

وهـذاـ توـكـيدـ مـنـ اللـهـ بـأـنـ النـفـسـ حـقـيـقـةـ مـطـلـقـةـ ، وـلـيـسـ بـجـرـدـ دـعـاءـ لـلـظـرـوفـ الـمـوـضـوعـيـةـ كـاـ تـصـورـ كـارـلـ مـارـكـسـ فـيـ فـلـسـفـةـ الـمـادـيـةـ ، وـبـأـنـ هـاـ عـلـوـاـ عـلـىـ الـظـرـوفـ وـعـلـىـ الـبـيـنـةـ الـمـادـيـةـ ، بـعـكـسـ مـاـ زـعـمـ فـقـهـاءـ الـمـارـكـسـيـةـ الـذـيـنـ جـعـلـوـاـ لـلـبـيـنـةـ وـالـظـرـوفـ وـلـلـمـجـتمـعـ عـلـوـاـ قـهـرـيـاـ عـلـىـ النـفـسـ وـسـلـطـةـ حـاكـمـةـ عـلـيـهاـ .

وتـلـكـ هـىـ الـبـرـاءـةـ الـقـىـ أـعـطـاهـاـ اللـهـ لـلـنـفـسـ وـالـتـرـكـيدـ الـمـطـلـقـ بـأـنـهاـ مـنـ عـنـصـرـ شـرـيفـ لـطـيفـ وـأـنـ هـاـ حـاكـمـيـةـ عـلـىـ كـلـ صـنـوفـ الـمـادـةـ .

وـذـلـكـ مـذـهـبـ الـعـارـفـينـ وـقـانـونـهـ .. أـنـ الـلطـافـ تـحـكـمـ الـكـثـافـ .. أـلـاـ تـحـمـلـ أـعمـدـةـ بـجـالـ الـجـاذـيـةـ هـيـكـلـ الـكـونـ كـلـهـ .. وـمـاـ هـىـ أـعمـدـةـ الـمـجـالـ .. وـمـاـ الـجـاذـيـةـ ؟ـ .. أـلـمـ يـخـرـجـ الـعـقـلـ الـطـاـقةـ الـذـرـيـةـ مـنـ الـقـمـقـ وـيـنـسـفـ بـهـاـ الـجـبـالـ ، وـمـاـ الـعـقـلـ إـلـاـ هـذـاـ النـورـ الـلـطـيفـ الـذـىـ نـرـىـ عـلـىـ ضـوـئـهـ كـلـ شـىـءـ .

أـلـاـ يـحـكـمـ الـضـمـيرـ الـجـسـدـ .. وـمـاـ الـضـمـيرـ ؟ـ .. أـلـاـ تـدـفـعـ قـوـةـ الـبـخـارـ بـقـاطـرـةـ وـعـشـرـاتـ الـعـربـاتـ الـمـدـيـدـيـةـ مـنـ الـأـطـنـانـ .. وـمـاـ الـبـخـارـ ؟ـ .. أـلـاـ تـحـرـكـ الـكـهـرـبـاءـ الـمـوـتـورـاتـ وـتـقـومـ بـتـشـغـيلـ الـمـصـانـعـ

وـمـاـ الـكـهـرـبـاءـ ؟ـ .. إـنـهـاـ جـمـيعـهاـ لـطـافـ تـحـكـمـ الـكـثـافـ .. وـالـنـفـسـ الـطـفـهاـ جـوـهـراـ .. إـنـهـاـ الـوـاحـدـ الصـحـيـحـ الـذـىـ تـخـرـجـ مـنـ كـلـ الـأـعـدـادـ وـالـكـسـورـ الـعـشـرـيـةـ وـالـلـوـغـارـيـمـاتـ ، وـكـلـ الـحـسـابـ وـالـجـبـرـ وـالـهـنـدـسـةـ .. وـكـذـلـكـ جـاءـتـ الـبـشـرـيـةـ بـأـعـدـادـهـ مـنـ الـنـفـسـ الـأـوـلـىـ الـكـلـيـةـ .

وـالـنـفـسـ الـكـلـيـةـ هـىـ أـوـلـىـ مـاـ خـلـقـ اللـهـ :

﴿ أَفْحَسْبَتُمْ أَنَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبْدًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴾ .
(١١٥ - المؤمنون)

﴿ أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَرَكَ سَدِّيٍّ ﴾ .
(٣٦ - القيامة) .

إن خلق كل شيء كان بالحق وللحق ، وإن الحياة خلقت
لتستمر بعد الموت في كيفيات لا نعلمها ، وإن الرواية لن تنتهي
بالموت بل سوف تتعدد فصولاً إلى ما لا نهاية حيث تكون الغاية
هي اللقاء به في الإطلاق .

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَاقِيهِ ﴾ .
(٦ - الانشقاق)

فالكبح سوف يتصل إلى ما لا نهاية عروجاً إلى الله في
المطلق ، وتلك هي المجرة التي أرادها الله ، لجميع الأنفس
وما أشرفها وما أعظمها من هجرة وما أهون المشقات ،
وما أهون عنترات الطريق إذا كان الموعده الله وهل بعد الله
غاية؟؟
تبارك الذي ليس كمثله شيء .

﴿ خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقْنَا مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ .
(١ - النساء)

إن أول ما خلق الأحد كان الواحد .. ومن الواحد جاءت
جميع الأعداد :

﴿ خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقْنَا مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ .

ولكن تظل حقيقة النفس لفراً وتظل سراً مطلساً ..
هل كان لنا خلق أول في أحسن تقويم ، وكان لنفسنا وجود
سابق عند الله :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانًا فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ
سَافَلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
مَمْنُونٍ ﴾ .
(٤ - ٥ - ٦ - التين)

إن الله استثنى الصالحين في الأجر فقط ، ولكن كان حكمهم
حكم الباقى في النشأة .. لقد كانوا في أحسن تقويم ثم ردوا إلى
أسفل سافلين ، فهل ما نحن فيه الآن هو أسفل سافلين؟؟
اختلفت التفاسير والعلم عند الله ، ولكن تظل القضية
الثابتة : إن النفس حقيقة الحقائق .. وأنها تتنقل في الأحوال وأن
الجسد يليل ويؤت .

في حين هي لا تموت .. وأنها مناط التشريف ومناط الحساب
ومناط المسائلة .. وأننا لم نخلق سدى :

بدونها لا سبيل إلى فهم أي شيء ولا سبيل إلى استمرار أي شيء ، ليس فقط ضرورة عقلية أو ضرورة فلسفية ، بل ضرورة وجودية بحثة .

الإنسان والله والكون قضية واحدة لا يفهم أحدهما إلا بالآخر ولا ينفصل طرف منها عن الآخر قاله يفارقنا بعلوه ، ولكنه فيما وأقرب إلينا من حبل الوريد . فainما تولوا فهم وجه الله . وهو معكم أينما كنتم ما يكون من نجوى ثلاثة إلا وهو رابعهم بل هو الجمال في كل جبيل والقوة في كل قوى والقدرة في كل قادر وهو سبحانه نور السموات والأرض .

ويؤكد لنا الدين هذا الشعور دون تفلسف فيعطي المؤمن جرعة من الراحة والسكينة والطمأنينة تكفيه مدى عمره فلا يعود يسأل أر . يتسائل وإنما ينطلق يسعى ويعمل جاهداً في سبيل الخير والبر ، غير ناظر إلى مكافأة أو عوض لأن الله ذاته هو العوض . وليس بعد الله شيء ، ثم هو يسعى دون خوف من مرض أو موت فهو يعلم أنه لا موت وإنما كدح إلى الله وسير في المنازل وصعود في معراج من التحولات لا يعلم كيف تكون بذلك غيب ولكن إيمانه يغطيه ويمتد به عبر الغيب وبطول الشهادة كلها .

والعلمانيون الذين يستنكرون علينا المزاوجة بين العلم والدين يأخذون علينا الكلام في الدين بلغة العلم .. وهم يعيشون في

الدين والعلم

ليس بإنسان من لم يتوقف لحظة في أثناء عمره الطويل ليسأل نفسه .. ما الحكاية بالضبط .. من أنا ومن أكون ، ومن أين جئت وإلى أين ذهب ، وما مصيرى وما الحكمة من الألم ، وما الهدف من الوجود ، وعلام هذا اللهاش المجنون وأخر السعي موت وتراب ولا شيء .. إن الحياة دون إيمان دون يقين بوجود الله عادل هي عبث صرف بلا معنى وبلا سند وبلا رحمة .. وهي عذاب بلا حكمة وألم بلا عوض ومحاصرة بلا عائد ومشروع بلا ضمان .

والإنسان إذا خلت حياته من الله هو مشروع فاشل نهايةه اليأس والانتحار . وإذا كانت الحياة استمرت ثلاثة آلاف مليون سنة فلأن الله فيها ومعها ومن ورائها ومن حولها يهديها ويدعمها ويساندتها وينورها .. وجوده سبحانه وتعالى ضرورة مطلقة

العالم والفيلسوف والمفكر ورجل الدين ، دون أن يتهم أحدهم بالتبعة لأحد .. فالتحاس الحق من جميع سبله المتاحة هو أوجب واجبات العقل .

وعيب العلمانيين أنهم يختلفون تناقضاً بين العلم والدين ثم يعودون فيختلفون تناقضاً بين العقل والوجودان ويعيشون في انشقاق دائم في أنفسهم وعلى أنفسهم وذلك لبعدهم عن الرؤية التسليمة ولغرقهم في الجزئيات ولو أن رؤيتهم ارتفعت عن الجزء والتحتم بالكل لذابت كل هذه التناقضات ولرأوا الانسجام الشامل في كل شيء ولكنوا من الذين فهموا الآية .

فأينما تولوا فثم وجه الله .. إن الله واسع عليم .
فما كل هذا التلوين والتصنيف في الأشكال في هذا المتحف الكوني إلا تعبير عن السعة الإلهية والعلم الإلهي الذي أحاط بكل شيء فيهم أينما تولوا فإنهم يقرءون كتاب الله ويستجلون آياته .. فليس ثمة إلا هو .. وما من الله بد .

يقول الله للعبد الصالح في كتاب المواقف والمخاطبات للنفرى : «أنا في عين كل ناظر» ومعنى ذلك أنه في المشهد وفي الشاهد وذلك هو الوجود مطلقاً فسبحان رب الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً . لو قرأت القرآن فأنت في كلماته .. ولو قرأت كتاب الكون فأنت في صنعته .. ولو قرأت في العلوم الطبيعية فأنت في قوانينه .. ولو قرأت التاريخ فأنت في مشيئته .. ولو

انشقاق على أنفسهم طول الوقت فهم يقسمون الحقيقة إلى أجزاء وينصرون أن كل جزء له علبة خاصة .. فهذه علبة للدين وهذه علبة للعلم وينسون أن تshireح الحقيقة يقتلها لأنها بطبيعتها بسيطة وشاملة .. فالذين في ذاته علم .. هو علم بالله والعلم بالله لا ينفصل عن العلم بخلوقاته ، فالمعرفة بالصانع لا تنفصل عن المعرفة بصنعته .. بل إن كل معرفة منها تؤيد الأخرى وتتعاضد بها ولا تناقضها أو تنتفيها .. فالكون كله بما يتجل فيه من وحدة القوانين ووحدة المخامة وانسجام الألوان والأشكال ، هو خير شاهد على وحدة الصانع .. والكون هو مجال لقدرات الله وأفعاله وصفاته ..

والتاريخ هو المشيئة الإلهية التي تتحقق شفرياً في الحوادث .. والتطور التكامل في الكون هو ذلك الكدح إلى الله صعداً مرتفقي بعد مرتفقي .. ونحن نرى الله في كل شيء .. وليس ذنبنا أنهم لا يرون الله في أي شيء .. وأن نظرتهم تقف عند حدود الميكروسكوب والتليسكوب وشاشة الرادار .. وأنهم يقسمون كل شيء إلى ألف جزء وجزء ثم يتبعون في الأجزاء ولا يرون إلا الأجزاء .

والعلم تراث للجميع ولا يستطيع أحد أن يدعى ملكية العلم لنفسه ، ولا يوجد علم روسي ولا علم أمريكي ولا علم إنجليزي وحقائق العلوم ملكية مشتركة وهي موضوع استبصار

فرأت في الفنون فأنت في مجليلات اسمه «البديع والخالق والمصور» ولا مهرب لك منه .. أني توجهت فأنت في إحاطته .. وأجدادنا في صدر الإسلام فهموا الإسلام أحسن مما فكان الواحد منهم أمة ودائرة معارف كان ابن سينا عالماً وطبيباً وفيلسوفاً وشاعراً وحجة في الرياضيات ومثله الرازي وابن رشد وابن الهيثم وغيرهم .. لم يكن الواحد منهم يضع الدين في علبة ويضع العلم في علبة ويقول لا أدخل هذا في ذاك ولا أدخل ذاك في هذا وإنما كان كل منهم عقلاً شمولياً ورؤياً شمولية .. وكان كلما ازداد شمولًا في النظر ازداد قرباً وفهماً للدين والعلم على السواء ، حتى المفسر السلفي الذي يحتاج به المخصوص لم يكن مغلقاً على المعلومة الدينية القرآنية بل كان يحاول أن يستخدم العلوم المتاحة في عصره لفهم آيات القرآن الكريم .

حينما فسر السلف «وأرسلنا الرياح لواقع» بقولهم إنها الرياح تدفع السحب فتسقطها على الأرض مطرًا ، فتلقحها وتخصبها كانوا يستعينون بالعلوم الطبيعية في زمانهم ونحن اليوم حينما اتسعت معارفنا نقول هي الرياح تحمل حبوب اللقاح من زهرة إلى زهرة فتلقحها ، ثم حينما اتسعت معارفنا أكثر نقول هي الرياح تحمل ذرات التراب وتلقى بها في السحب فتعمل كبذور تجتمع حولها القطيرات فهي كأنما تلقحها ، وهكذا كلما تقدم دركب العلم كشف لنا المزيد من مغاليق هذه الآية الكريمة .

إننا نسير على نفس الدرب خلطاً عن اف لم نأت بدعا من الأمر ، بل إن السلف كانوا أحياناً يغلون في هذا التفسير العلمي ، فيقعون في الخطأ ، فنرى الطبرى على ارتفاع قدمه في التفسير يفسر الآية : «يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي» بأنها الدجاجة تخرج من البيضة والبيضة تخرج من الدجاجة ، وأنها الجنين يخرج من النطفة المنوية ، والنطفة المنوية تعود وتخرج من الرجل البالغ .. ونعرف الآن إن المثال العلمي يخرج من حي وكذلك النطفة هي حيوان منوي حي يخرج من الذي ضربه الطبرى مثال خطأ .. فالبيضة والدجاجة هي حي .. ولكن الطبرى كان له عذر فهكذا كانت العلوم المتاحة حي .. ولقد أخطأ أرسطو خطأ أكبر حينما قال بتولد الديدان زمانه .. ولقد أخطأ أرسطو خطأ أكبر حينما قال بتولد الديدان من الجنين القديم وخروج الحياة من تخمر المواد الميتة .. واليوم يعرف أصغر تلميذ في أي مدرسة ابتدائية أن دود المش يخرج من بيضة ذبابة المش ، وأن التخمر يحدث بسبب ميكروب الخميرة ، وليس العكس .. هي أخطاء وقع فيها أكابر .. ولكنهم اجتهدوا فكان لهم أجر حتى على أخطائهم .

ولكن الخطأ الذي لا يفتقر أن يتوقف الاجتهاد وأن يجبن العلماء خوفاً من أن يقال إنهم أدخلوا البدع .. وأن يتقاذف الناس الاتهام بالتكفير .. وأن ينغلق رجال العلم على علبة العلم ، وأن ينغلق رجال الدين داخل قوقة الدين ، وأن ينعدم

التواصل ، وأن ينحل التفكير إلى جزر منفصلة غير متراقبة ،
وأن نفتقد الرؤية الشاملة ، وأن يختنق كل واحد في تخصصه فذلك
دأبة الانحدار والأفول والتخلف الحضاري .

الملك والملكون .. وأنا

رفض الله نفسه بأنه البتت . وبأن له ملكاً وملكتاً وجندًا
مجندة وملاً أعلى ، وأنه قد وكل إلى كل فرد من هذا الملاً الأعلى
 مهمة يقوم بها فجبريل الروح الأمين هو رسول الوحي ، وهو
الواسطة بين الله وجميع أنبيائه ، وميكائيل مكلف بالأرزاق ،
وإسرافيل نافخ الصور يوم تقوم الساعة وعزرايل قابض

الأرواح :

﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ﴾ .
(السجدة - ١١)

ذلك ملك الموت .. وهم أكثر من ملك :
(الأنعام - ٦١)

﴿ توفته رسالتنا وهم لا يفرطون ﴾ .

ثم هناك الملائكة الحفظة :
(الطارق - ٤)
﴿ إن كل نفس لما عليها حافظ ﴾ .

والملاك الكاتبون :

﴿ وإن عليكم حافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون ﴾

(الانفطار ١٠ - ١١ - ١٢) .

والملاك الصافون والملاك المسجون والملاك المخافون
بالعرش والملاك العالون وملائكة التصريف .

ملك عظيم من فوق سبع سموات لا ينتاهى .

والسؤال الذى يتadar إلى الذهن .. لم لا يباشر الله جميع هذه
الشئون بذاته مادامت بيده مقاييد كل شئ وإليه يرجع الأمر
كله ؟ فلماذا لا يفعل بذاته وبذون وسانط ؟

وما الحاجة إلى كل هذا الملأ ؟ والجواب .. أنها سنة الله في
خلقه .. فهو يجرى الشفاء على يد جراح ، وكان في قدرته أن
يشفى بذاته وهو يجرى الأرزاق من باب تجارة أو من باب
صناعة ، وكان في قدرته أن يوصل المال إلى أصحابه مباشرة دون
أسباب .. وهو يوصل إلينا العلم بوسائل الكليات والجامعات
والمدارس بل هو يوصل العلم إلى أنبيائه عن طريق جبريل ..
وكان بالإمكان أن يلقىه في روعنا مباشرة .

حتى المعجزة الخارقة فإنه يجريها بواسطة فيقول عن الحمل
الخارق لمريم :

﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ﴾

ويقول جبريل لمريم :

﴿ إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيأً ﴾

وهو أمر كان يمكن الله أن يفعله مباشرة .

تلك إذن سنته في الدنيا .

وذلك أيضاً سنته في الآخرة حيث يقيم على النار زيانية
لا يعصون الله ما أمرهم وي فعلون ما يؤمرون ، حيث يقيم على
أبواب الجنة ملائكة الرضوان .

حتى عرشه العظيم سبحانه يقول لنا القرآن إنه محمل يحمله
ثمانية أبواب الجنة ملائكة الرضوان .

﴿ وجعل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾

وهم يحملونه ولاشك بقوة الله ذاته لها ضرورتهم ..

والجواب لا ضرورة سوى كرمه هو .. حيث شاء بكرمه أن
يعطى صفاته الشافية للطبيب ، ويتجلّ بأحكام اسمه العليم على
المعلم ، ويتجلّ باسمه الرزاق على التاجر ، وباسمه البديع على
الفنان ، ويتكرم بقوته على حامل عرشه ، فتلك كلها شواهد
كرم منه لا شواهد حاجة إلينا .

ثمن إن الوسانط أيضاً هي سنته .. فهو إذا أراد أن يعالج
الجبل سلط عليه وسانط مادية مثله لتشكيله سلط عليه الرياح
والأمطار والسيول تنحته وتشكله ، أو سلط عليه كائناً مادياً مثل
الإنسان ينحث فيه الكهوف والسدود .. ولو أنه سبحانه تجلّ
على الجبل مباشرة لجعله دكاً .

وحيثما ظهر جبريل على صورته الحقيقة لـ محمد عليه الصلاة والسلام خر مغشياً عليه.

إن ثغالت المقامات بين الله وملائكته وبين ملائكته وخلقه من البشر وبين البشر وسائر صنوف المادة الجامدة استدعي وجود البرازخ والوساطة .. فلا يطيق الأسفل أن يتجلى عليه الأعلى مباشرة .

إتنا نفذ ثواة النرة وهي شيء غير منظور بشيء آخر غير منظور وهي قذائف النيتوترون فنتحذ وسائط من جنس ما تعامل معه .. فنحاول الوصول إلى الشيء الخفي باتخاذ بروزخ خفي . وجبريل هو البروزخ بين الله وبين محمد عليه الصلاة والسلام ، وهو أيضاً البروزخ بين الله وبين جميع أنبيائه .. لأنه تجلى هذه الحضرة يؤدى إلى سحق ومحق كل شيء .. تماماً كما رأينا من حال الجبل الذي أصبح دكا ، وموسى الذي خر صعقاً . إننا بحكم طبيعتنا البشرية لا نتحمل أنوار الذات الإلهية فاستدعي التواصل بين الطبيعتين إلى اتخاذ البرازخ . وكما أن جبريل هو البروزخ بين الله وبين محمد ، فكذلك محمد عليه الصلاة والسلام هو بروزخنا الأعظم ، وهو وسيلتنا وواسطتنا وبابنا إلى الفهم عن الله .. لأننا بحكم طبيعتنا المحدودة لا نستطيع أن نصل إلى حضرة الإطلاق دون دليل .

إن الضرورة هنا كانت قياداً علينا نحن ، فنحن الضعفاء والله هو القوى ونحن الفقراء إليه وهو سبحانه الغني عنا . وكان تنزل الله بين البرازخ ليتواصل معنا كرماً منه ولطفاً وإيناساً .. لا حاجة منه إلينا فاته ليس فعالاً بنا ، بل نحن الذين نفعل به ونحن الذين نرى به ونسمع به ونفهم به ونخشى به ونحيا به .. بل إنه هو هو الظاهر بوجهه في كل شيء :

﴿ أينما تولوا فشم وجه الله ﴾ .
 فهو الملك ، وهو هو جميع القوى الفعالة في الملائكة وهو هو جميع ما في هذه الملائكة من حق وخير وجمال وعدل وكرم وحلم ورأفة ومية ورحمة وسمع وبصر وعلم فتلك جميعاً اسماؤه تجلت بأحكامها على ما في الملائكة من خلائق .

فإذا سحب منا ربنا قيمته عدنا عدماً وأختفى سرّ وجود كله ولم يبق إلا نوره ، فهو الحضور المستمر أبداً وأزلاً وهو الظاهر ونحن الغيب .. وهو الوجود ونحن العدم .. وهو المحجة على نفسه وهو برهان وجوده ودليل ذاته .

من مبدأ القصة حينما كان الله ولا شيء معه إلى الآن حيث مازال على ما عليه كان .. لم يجد جديد .. فكل ما حدث كان تحصيل حاصل لما في علمه .. ومازال هو على ما عليه كان فالقول بحاجة الله إلى جنوده وملكته يعكس القضية ويقلبها .. تعالى ربنا عن ذلك علوًّا كبيراً .. فلا شيء فعال في ملكه وملكته

﴿ سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً
منه ﴾ .

يقول الله للعبد الكامل في كتاب المواقف والمخاطبات
لللنفرى : أنت مني .. أنت تلبينى .. وكل شيء في الوجود يأقى
بعدك .. لا شيء يقدر عليك إذا عرفت مقامك ولزمت مقامك ..
فأنت أقوى من الأرض والسماء ، أقوى من الجنة والنار ، أقوى
من المحرف والأسماء أقوى من كل مابدا في دنيا وآخرة .
إذا تحققت بسرك تحققت بي .. أنا الذي منه كل شيء أنا
الذى أبديت كل شيء .. أنا الذي هو أنا .
إلى هذه الذروة المذهلة من التشريف تصل هذه النقطة
العدمية التي هي النفس الإنسانية . فيقول عنها رب العالمين :

أنت مني
أنت تلبينى وكل شيء في الوجود يأقى بعدك لا شيء يقدر
عليك إذا عرفت مقامك ولزمت مقامك .
فأنت أقوى من الأرض والسماء ، أقوى من الجنة والنار
أقوى من المحرف والأسماء .. أقوى من كل ما بدأ في دنيا
وآخرة ..

ويقول للعبد الكامل :
إذا تحققت بسرك تحققت بي .. أنا الذي منه كل شيء ..
كيف يارب يتحقق الواحد منا بسره .

سواء إنما هي ثياب ألبسها لنا فموهاب أعطاها لنا وأرزاق وزعها
 علينا ، بل إن لبست الوجود ذاتها منه .. وليس لنا من ذاتنا
 إلا العدم .

يل اللغز الذى يحيرنى .. هو ذاتي نفسها أنا .. من أكون .
أما أحقيـة الله فى كل شيء فهو أظهر من أن تكون محل شك
أو مساءلة .. وبالمثل وجوده وهيمنته وظهوره .
إنما أنا .. ذرة العدم .. التي هي نفسى ما أمرها .. وما خطبها
وكيف تشخصت من الأزل .. وكيف جاء بها الله ومعها سرها
وما تكتـم ، ثم أوجدها ليخرج مكتومها وابتلاها بالشر والخير
لتفضح عن سرها وتفضى مكتونها .
أنا ... ؟

وهل لي هذه الأنـا .. أم أنـى استعرتها مع ما استعرت
من الله .. فهو ثوب ضمن ما ألبسنى الله من ثياب .
ذلك هو السر الذى يحـيرنى برغم أنه لا شيء أقرب إلى
منها .. وهـل هناك ما هو أقرب إلى من نفسـى التي بين جنبي ..
ومع ذلك فهو الـطلسم .. والتـيه .. والـحال .
ثم إنـى اللغـز يصل إلى ذروة استـسراـره حينـا نـرى الله يـأمر
لـانـكتـه بالـسجـود لـهـذه الـنفسـى التي تـشـخصـتـ منـ عـدـمـ وـيـسـخـرـ هـاـ
لـمـكـهـ وـمـلـكـوـتـهـ وـيـخـضـعـ هـاـ الـكـونـ جـيـعـهـ :

إذا عرف مقامه ولزم مقامه .

ليس فقط أن يبلغ مقام الكمال ، بل أيضاً يلزم هذا المقام فلا
يمجد عنه .. وذلك هو غاية التمكين والتبنيت .

وذلك هو المعراج العظيم الذي لا يقدر عليه إلا أحد ، بل
إن الملك والملائكة ذاتها مجرد معارج لهذه النفس الكاملة والدنيا
والأخرة منازلها وهي تسير إلى ربه وقد أقدرها الله على الدنيا ..
وعلى تجاوزها كما أقدرها على الآخرة وعلى تجاوزها في مراقي
السير إليه تلك هي النفس الطلسم المطلسم .
وذلك هي إمكاناتها حيث اجتمع فيها أقصى العدم وأقصى
الوجود .

وحيث هي مني أقرب إلى من كل شيء ، وأخفى على من كل
شيء .

وحيث يبلغ إيهامها بي إلى البهت والمحيرة والذهول :
من أنا ..

ومن أكون ..

أنا الذي أسجد لـ الله الملك والملائكة ، وسخر لـ الكون
أجمع .

أنا الذي أمرض وأشيخ وأموت ، ويفتك بي ميكروب لا يرى
لفترط تفاهته .

أنا الذي جئت من قطرة ماء وأنتهي إلى جيفة .

إلهي كم تكذب المظاهر وكم تخفي جلوتنا حقائق هائلة

نختها .

وكم تتشابه وجوهنا وتختلف منازلنا .. وكم يمشي في الأسماك

والخرى من هم فوق الثريا منزلة .

لهفي على ذلك اليوم الذي تهتك فيه الأستار ويعرف كل منا

من يكون .

وترفع الحجب ويكشف الغطاء ويغدو البصر حديداً ويفاجأ

كل منا من نفسه بما لا يعلم ..

ويعرف كل منا من يكون ..

ياله من يوم ..

ياله من يوم ..

عن التطور

الكثير من رجال الدين لا يتحمل الكلمة «تطور» ويرفض موضوع التطور برمته ، ظناً منه أن التسلیم بالتطور يستتبع الاعتراف بأن الإنسان جاء من سلالة القرود وهو فهم خاطئ . ودارون نفسه لم يقل بأن الإنسان جاء من سلالة أى قرد من القرود التي نعرفها .. بل هو يجزم بأن جميع هذه القرود لن يتتطور أحدها إلى إنسان ولو امتد الزمان إلى ملايين السنين أو إلى أحقاب وأباد .

علوم الوراثة والجينات هي الأخرى تنفي خروج الإنسان من قرد ، فالخريطة الكروموسومية للقرود مختلفة عن الخريطة الكروموسومية للإنسان بشكل ينفي خروج أحدهما من الآخر . بل إن علوم التطور نفسها تقول إن كل جنس من الأجناس الموجودة هو نهاية عميماء وحارة سد بحيث لا يمكن أن يؤدى

جنس منها إلى جنس آخر .

وما يحدث في حالة التهجين والتقليل والتطعيم بالجينات من فرد إلى فرد هو خروج نوعيات جديدة بالمرة .

والكلام على أن السلالة البشرية جاءت من حلقة مفقودة تشعبت منها الحياة إلى فرعين : فرع خرجت منه سلالة قردية وفرع آخر مختلف خرجت منه سلالة بشرية .. هذا الكلام هو نظرية ظنية يمكن أن نرفضها دون حاجة إلى رفض التطور من أساسه .

وعليّاً لا يمكن لأحد أن يرفض التطور من أساسه .. لأن الحقيقة الجوهرية في التطور . وهي خروج السلالات من بعضها البعض وتتنوعها بتكرار التزاوج وتكرار التوليف بين الأمشاج أو الجينات (المورثات) .. ثم ظهور طفرات جديدة في السلالات بين وقت وآخر .. هذا الكلام هو كلام علمي ثابت بالتجربة وهو كلام موضوعي ومؤكّد .. وليس كلاماً ظنياً يقبل الطعن .

ثم إن تسلسل المخلوقات الحية في الزمان الجيولوجي بشهادة الحفريات تؤكد ظهور الإنسان في آخر السلسلة التي بدأت من ثلاثة آلاف مليون سنة صعوداً من كائنات بسيطة وحيدة الخلية إلى عديدة الخلايا .. رخوية ثم قشرية ثم فقرية .. ترقى هوناً مع الزمان درجة بعد درجة وتتنوعاً بعد تنوع من بكثيرياً إلى طحالب

والفأر والفيل والحوت والحمامة والسلحفاة والقرد والإنسان
ليست مصادفة .
ثم إن تختلف بقايا من الأعضاء المنقرضة بلا وظيفة في كل
مجموعة حيوانية في أثناء ترقيتها من عتبة إلى عتبة .. هي بصمات
تشير إلى الماضي .

إن الكم العلمي الهائل من الشواهد لا يمكن كنسه بمجرد
إشاحة باليد وبمجرد الرفض الساذج للموضوع كله .
وقد انقسم العلماء أيام هذه الشواهد المحيرة إلى مؤيد
بدرجات للتطور ، وإلى رافض بدرجات ولكن الرفض الكامل
بات مستحيلاً لأنه ببساطة موقف غير علمي .
وخلق الإنسان بنشأة مستقلة غير مسبوقة بأجداد أو أسلاف
حيوانين لا تعنى أن كل فرد في مجموعة الحيوانات والنباتات جاء
بنشأة مستقلة .

إن النباتات الزهرية وحدتها أمكن إحصاء خمسماة ألف
مصنف منها .. فهل معنى هذا أنه يلزم لكل صنف منها نشأة
مستقلة .

وما الذي يدعونا إلى هذا التفكير المعقّد إذا كانت هي بالفعل
تندرج في عائلات ، والكثير منها يقبل التهجين بين بعضها

البعض .
إن المنطق البسيط سيقول بأنها تنوعات سلالية جاءت

إلى فطر إلى سرخسيات إلى زهريات في المملكة النباتية ، ومن
البروتوزوا إلى الإسفنج إلى الديدان إلى القشريات إلى العناكب
إلى الحشرات إلى الأسماك إلى الضفادع إلى السلاحف إلى
الطيور إلى الثدييات بأنواعها وأعلاها الشمبانزي .
و عمر الإنسان في أرشيف الصخور الثابت هو حوالي المليون
سنة زيادة أو نقصاً .

في حين أن عمر آلة حشرة يزيد على خمسماة مليون سنة ..
وعمر الطحالب ثلاثة آلاف مليون سنة ، وأول خلية طحلبية لها
حفرية ثابتة مرسومة على الصخور منذ ثلاثة آلاف مليون سنة ...
وعالم التطور قد يكذب وقد يضل السبيل بحسن نية .. ولكن
الصخور لا تكذب .. والجبال لا تضل السبيل لأنها تعمل
بأمر الله وقوانينه دون تصرف .

ثم إن التكيف والتآكلم بين كل جنس حيواني وبينه ، وبين
كل جنس نباتي وبينه وتطور نفس نظام الأطراف لتصبح هي
ذاتها أجمنحة في الطيور ، وزعناف في الأسماك ، وسيقان في
الدوايب ، ومجاديف غشائية في الضفادع .. هي الأخرى حقيقة
تشريحية .

ثم إن خروج الشرايين من القلب بخطوة واحدة وعودتها
بخريطة وريدية واحدة إلى الرئتين في الأرنب والكلب والذئب

كيفية بدأ الخلق :
﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾
(العنكبوت - ٢٠)

ويعلم الله أتنا سوف نختلف في هذا الموضوع وسوف نضل
ونخطئ ونصيب وسوف يطول بنا المشوار ، رجاء إلى قيام الساعة ..
ومع ذلك أمرنا .. فأمره واجب .. واحتلafنا لا غبار عليه ..
ولا يجوز أن يكفر أحدنا الآخر .. وإنما علينا أن نتعاون .. في
مودة .. ودونما تعصب لرأى .. فالقرآن نفسه حمال أوجه .. وأيات
الخلق في الكتاب من متشابه القرآن وليس من محكم القرآن لأنها
تحمل أكثر من وجه من وجوه التفسير .. بل إن كلمة الأطوار
جاءت بنصها في إحدى الآيات :

﴿ ما لكم لا ترجون الله وقاراً . وقد خلقكم أطواراً ﴾
(نوح - ١٣ - ١٤ : نوح)

وفي آية أخرى :

﴿ والله أنتكم من الأرض نباتاً ﴾
(نوح - ١٧)

وفي آية تكلم القرآن عن خلق الإنسان من طين . وفي آية ثانية
من سلالة من طين :

﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾
(الؤمنون - ١٢)

بالتزارج المستمر بين تواليف متعددة من الأمشاج والجبنات
انضافت لها عديد الصفات التي استجدها بالتكليف مع بيانات
متغيرة ، وأنتجت هذا المتحف الباهر من النباتات .
وما يقال عن النباتات يقال عن الحيوان .

وقد تصح النشأتان معاً .. النشأة المستقلة للبعض والنشأة
التطورية السلالية التي يستنبط فيها البعض من البعض الآخر ..
فتتصح النظريتان دون مصادرة .

ثم إن التطوير والتحسين ليس فيه إنكار للخالق .
فإن تطوير كل شيء وتحسين كل شيء مردء إلى الله .. وقد
قال بذلك دارون نفسه في رده على الكنيسة .

والتحسين لا ينفي العناية الإلهية .. بل يؤكدها !
والترقي في الزمان هو قانون الله وسننه لكن يكون للزمان
حكمة ، ولكن يكون لجهاد الكائنات وجلادها مع الظروف ثمرة
وغاية ومعنى ، فلم يحدث ما حدث لنقص أو عجز في خطة الخالق
تعالى ربنا عن ذلك علوًّا كبيرًا .. وإنما هو أمر مراد لحكمة .
وإذا كانت الكنيسة قد وقفت هذا الموقف من العلم بجمودها
ولسيطرة الكهنوت في فترة من الزمان على السياسة والفكر ..
فإننا نقول .. ليس عندنا كهنوت ولا حجر من علماء الدين على
العلم .. بل إن ديننا نفسه علم وهو يأمرنا بالعلم .. ويأمرنا
بالنظر .. بل إنه يأمرنا بالنظر في هذا الموضوع بالذات .. موضوع

وفي آية أخرى يؤكد هذه المراحل :
 ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَرْنَاكُمْ ثُمَّ قَلَنَا لِلملائِكَةِ اسْجَدُوا
 لَأَدْمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾
 (الأعراف - ١١)

تقتضي خلقناكم ثم صورناكم .. تلك مراحل .. و « ثم » .. تقتضي زماناً إلهياً .. (واليوم عند الله بآلف سنة مما تعددون ، وفي آية قرآنية أخرى بخمسين ألف سنة) . فهو إذن زمن مديد ، وأحقاب .

ثم إن الخلق والتصوير يأتى في الآية سابقاً على آدم وعلى أمر الإسجاد له .. فأين كان .. إنه . لا يمكن أن يكون تصويراً جنانياً في الأرحام .. لأنه مذكور قبل آدم وقبل الذرية .. وقبل إسجاد الملائكة .. وآدم مازال وجيداً ولا ذكر لحواء بعد لنقول إنه تصوير جنبي في أرحام .
 والأية بعدها من آيات الأسرار التي لا تفهم دون تأويل .. وبالمثل كلمة «تسوية» :

﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسُوَّاكَ فَعَدَّكَ فِي أَىِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ
 رَكِبَكَ ﴾
 لماذا يقول ربنا : « فَعَدَكَ » .. أكان به اعوجاج فقله آه .
 سبحانه وتعالى بالتسوية إلى حال الاعتدال .
 إن فيها المعنى الواضح للترقية والتحسين على أحسن تقويم

وفي آية تكلم القرآن عن حين من الدهر لم يكن للإنسان شأن يذكر :
 ﴿ هَلْ أَقَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ .
 والكلمة النهاية في مراد هذه الآيات لا يستطيع أحد أن يدعها فلا يعلم مراد الله إلَّا الله .. وإنما الكل يجتهد ويصيّب ويخطئ .. فالباب مفتوح لكل صاحب علم .
 كما أن الكلمة النهاية في مشكلة أصل الإنسان من الناحية البيولوجية العلمية لا يستطيع أحد أن يدعها فمازال الأمر رهن البحث والباب مفتوح للاجتهاد .
 فلا داعى لافتعال معارك والتعصب لأى جانب دون الآخر بلا حجة أو برهان .

ثم إن القرآن لم يتكلم عن خلق الإنسان باعتباره عملاً لحظياً فورياً ، وإنما يروى لنا أنه تم على مراحل :

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلملائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ، فَإِذَا سُوِّيَتْ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي ، فَقَعُوا لِهِ سَاجِدِينَ ﴾
 (ص - ٧١ - ٧٢)

يقول ربنا جل وعلا : فإذا سويته ونفخت فيه من روحى .. فكيف كانت التسوية .. وكيف كان النفح في الروح !
 تلك مراحل .

نـم كـيف فـهم التـسوية ؟

جـبـها تـحـتـمـل التـسـوـيـةـ المـباـشـرـةـ لـلـطـيـنـةـ ، وـتـحـتـمـل التـسـوـيـةـ السـلاـلـيـةـ باـسـتـبـاطـهـاـ وـقـرـيرـهـاـ عـلـىـ مـراـحلـ حـقـ تـبـلـغـ غـايـتـهـاـ وـكـمالـ اـعـتـدـاهـاـ .

إـنـ الـآـيـاتـ تـحـمـلـ وـجـوهـاـ كـثـيرـةـ لـلـفـهـمـ .

وـلـ نـصـادـرـ رـأـيـ أـحـدـ .. وـلـ نـجـزـمـ بـشـئـ .. وـقـدـ نـكـونـ عـلـىـ

إـنـماـ فـقـطـ نـدـعـوـ إـلـىـ فـتـحـ الـبـابـ وـالـاجـتـهـادـ وـعـدـمـ التـعـصـبـ وـعـدـمـ

رـفـضـ الثـابـتـ المـؤـكـدـ مـنـ الـعـلـمـ .
وـهـمـ يـقـولـونـ إـنـ اللهـ لـاـ يـكـنـ أـنـ يـخـلـقـ شـيـئـاـ نـاقـصـاـ .. وـنـسـأـلـهـ

نـحـنـ : فـيـاـ بـالـأـجـنـةـ تـوـلـدـ مـشـوـهـةـ . وـمـاـ بـالـمـوـلـودـونـ عـمـيـانـاـ ..

وـمـالـمـوـلـودـونـ بـتـخـلـفـ عـقـلـ .. وـالـمـوـلـودـونـ يـسـاقـ وـاحـدـ أـوـ شـفـةـ

أـلـيـسـواـ مـنـ خـلـقـ اللهـ ؟!

وـمـاـ بـالـكـمـ بـالـزـاحـفـاتـ الضـخـمـةـ الـىـ نـعـرـفـهـاـ بـاسـمـ
الـدـنـيـاـصـورـاتـ وـكـانـ كـلـ وـاحـدـ مـنـهـاـ بـعـجمـ الـعـمـارـةـ يـأـقـعـدـ عـلـيـهـاـ
الـعـصـرـ الجـلـيدـيـ فـلـاـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـنـكـيفـ وـقـوتـ وـتـنـقـرـضـ .. فـيـ حـينـ

تـكـيـفـ الـحـشـرـاتـ وـصـغـارـ الـحـيـوانـاتـ ، وـتـغـيـرـ الـمـحـنـةـ وـتـسـتـمـرـ !

أـكـانـ نـقـصـ هـذـهـ الـكـانـنـاتـ وـقـصـورـهـاـ فـشـلـاـ فـيـ الـخـطـةـ الإـلهـيـةـ ..

تـعـالـ رـبـنـاـ عـنـ ذـلـكـ عـلـوـاـ كـبـيرـاـ .. بـلـ نـصـحـ هـؤـلـاءـ مـاـ فـهـمـواـ

وـنـقـولـ إـنـ كـلـ مـاـ نـرـىـ حـولـنـاـ مـنـ نـقـصـ لـيـسـ فـشـلـاـ فـيـ الـخـطـةـ الإـلهـيـةـ
بـلـ إـنـهـ ضـمـنـ الـخـطـةـ الإـلهـيـةـ .. وـهـوـ مـرـادـ وـمـقـصـودـ لـحـكـمـ .. فـكـلـ

مـاـ حدـثـ هوـ مـنـ بـابـ :

﴿ لـقـدـ كـانـ فـيـ قـصـصـهـ عـبـرـةـ لـأـوـلـىـ الـأـلـبـابـ ﴾
(يـوسـفـ - ١١١)

وـمـنـ بـابـ :

﴿ أـفـلـمـ يـسـيـرـوـاـ فـيـ الـأـرـضـ فـيـنـظـرـوـاـ كـيـفـ كـانـ عـاقـبـةـ الـذـيـنـ

(يـوسـفـ - ١٠٩)

مـنـ قـبـلـهـمـ ﴾
وـأـحـيـانـاـ نـدـرـكـ الـحـكـمـ وـأـحـيـانـاـ لـاـ نـدـرـكـهـا .. وـلـكـنـ تـنـظـلـ صـفـحةـ
الـكـوـنـ كـلـهـ بـاـ يـجـرـىـ فـيـهـاـ كـتـابـاـ حـافـلـاـ بـالـسـيـرـ وـالـعـبـرـ .. كـتـابـاـ
يـجـرـىـهـ اللـهـ أـمـامـاـ لـيـرـبـيـنـاـ وـيـعـلـمـنـاـ وـيـشـرـحـ لـنـاـ آـيـاتـ إـعـجـازـهـ
وـحـكـمـتـهـ .. وـلـيـقـولـ لـنـاـ فـيـ النـهـاـيـةـ .. إـنـ الـأـرـضـ اللـهـ يـوـرـثـهـاـ مـنـ
يـشـاءـ ، وـإـنـ مـقـالـيدـ إـلـيـاهـ وـإـلـيـاتـ بـيـدـهـ .. سـبـحـانـهـ لـاـ يـسـأـلـ عـمـاـ
يـفـعـلـ .

وـلـكـنـاـ مـكـلـفـونـ مـأ~مـورـونـ بـالـتـفـكـرـ وـالـتـأ~مـلـ وـالـتـدـبـرـ وـإـعـمـالـ
الـنـظـرـ .. مـأ~مـورـونـ بـذـلـكـ وـإـنـ اـخـتـلـفـنـا .. مـأ~مـورـونـ وـإـنـ أـخـطـأـنـا ..
﴿ قـلـ سـيـرـوـاـ فـيـ الـأـرـضـ فـانـظـرـوـاـ كـيـفـ بـدـأـ الـخـلـقـ ﴾
(العـنكـبـوتـ - ٢٠)

وـمـاـ كـتـبـتـ هـذـهـ الـكـلـامـ إـلـاـ عـلـاـ بـهـذـاـ التـكـلـيفـ ، فـإـنـ كـنـتـ
أـصـبـتـ فـمـنـ اللـهـ .. وـإـنـ كـنـتـ أـخـطـأـتـ فـمـنـ نـفـسـيـ .
وـنـسـأـلـ اللـهـ الـهـدـيـةـ .

بحث في ألفاظ القرآن الكريم

صاحب هذا البحث هو الدكتور بهاء الدين وردي وهو فنان سام بالإضافة إلى كونه طبيباً وكانت له معارض كثيرة في المغرب وباريس ومدريد ، وهو أيضاً دارس متعمق للهبروغليفية المصرية واللغة السومرية والحضارات السامية القديمة .. وبهذه المهمة الموسوعية الشمولية حاول أن يبحث في الألفاظ المهرانية ...

يقف مثلاً عند أسماء الله .. فيقول إن من أسمائه القديمة .. إيل ، وإيل في اللغة الآشورية البابلية تعني حكمة .. وعرف رب هذا الاسم قبل الإسلام ، وجاء هذا الاسم في القرآن في أسماء الأنبياء والملائكة مثل .. إسماعيل وإسرائيل وإذaniel وجبرائيل وعزرايل وإسراويل .. كل اسم منها مضاد إيل .. وإسماعيل « بهذه الصفة » معناه السميع بالله ..

وإسرائيل السائر إلى الله .. وهكذا .. بل إن في اللغة الفرنسية الضمير « هو » ينطق أيضاً « إين » ، ومعلوم أن الضمير « هو » من أسماء الله وفي التوراة ياهوه - أي ياهو .
 أما « الرحمن » فقد جاء في تصوّص تدمير قبل الإسلام « رحمنا » وفي اللغة الإيرانية رحن معناها السلام وفي اللغة العبيدية رامان ورامون إله الصواعق وفي اللغة الآشورية رحان هو الإله البابلي وله معبد في مدينة آشور وفي اللغة السننكرية الهندية « رهيم » تسبيبة يرددتها الصوفى على مسبحته - وهي

تقابل عندنا رحيم .
 والفرق بين الرحمن والرحيم أن الرحمن يرحم ويؤدب بالعذاب .. يقول إبراهيم لأبيه :
 « يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون
 للشيطان ولينا » (مريم - ٤٥)

أما الرحيم فهو الاسم المعبر عن الرحمة المخلصة .
 والله يجمع بين الاسمين والصفتين فهو رحمي الدنيا ورحيم

الآخرة .
 أما طه فقد ورد عن السامريين أنهم كانوا ينتظرون نبياً اسمه طاهاب وعند الهنود الحمر طاهابيو هي الشمس ومعناها عندهم

« أبونا » .

أما يس .. فهي تعنى باللغة العبيدية .. يا إنسان .

أما فرعون فهو أبى هاد الذى جاء ذكره في القرآن ، فقد سرها الأقدمون .. حتى فرعون ذو الجنود .. وأن الأوتاد هي الجموع والجيوش ويقول المؤلف صاحب البحث : إن الآثار حفظت لنا كثيرة على الجدران لفراعنة بعد زبدهن الأسرى بالأوتاد آخرون : إن الأوتاد هي الأهرام .. وربما كان أقرب الفرض إلى الحقيقة أن فرعون ذا الأوتاد .. هو فرعون ذو المسلات والمسلات هي أقرب ماتكون إلى الأوتاد .. ولقد كان : مسيس الثاني فرعون موسى أربع عشرة مسلة .. ولعله فرعون ذو الأوتاد بعينه .

أما هامان فهي نظر، لاسم الإله آمون أو هامون أو هامان . وقد ورد اسم هاما، ابن عم الفرعون خوفو وكان هامان وزيره وهو الذى كلفه خوفو ببناء الهرم الأكبر وقد عاش إلى حوالي العام ٢٥٨٠ ميلاد.

وهناك هامان بن حاء، الذى كان في زمن أختناتون وكان هو الآخر مهندساً معمارياً وطبيباً وفيلسوفاً .. ومن أقواله لاختناتون .. إذا كنت ترمي.. أن تكون ملكاً .. إذا كنت تريد أن تحكم مصر ، فكن بناء وأعمل فكرك يتحقق في المعمار وخيالك ينطق في الحجر ، وكان مسيس الثاني فرعون موسى له أولاد عشرة يحملون اسم هاما .. وبعد وفاته اعتلى العرش من بعده منفتاح ثم خلف منفتاح على العرش هامان مسي .. وربما كانت

المسي هي تحريف موسى .. ولعل هذا الهمان الأخير الذى كان وزيراً لمنفتاح ثم خلفه على الحكم هو هامان المذكور في القرآن .. ويكون موسى قد هرب من مصر في حكم رمسيس الثاني ثم عاد في حكم منفتاح ويكون منفتاح هو الذى توجه بالأمر إلى وزيره : « ياهامان ابن لي صرحاً لعلى أبلغ الأسباب »

(٣٦ - غافر)

وبقتل ما كان هامان مشتقاً من آمون .. فإن العزيز (عزيز مصر) هو الآخر مشتق من الإله إيزيس .
أما نون فيقول الزبيدي في تاج العروس إن معناها دواة .
ونون في الهيروغليفية معناها محيط الماء الأول الذى فيه كل عناصر الخلق .. وأول ما عبد المصريون من آلة كان الإله نون وزوجته نونة ، ونون في العقيدة المصرية هو الموض الدائم للقوى الحيوية ، ونون بحر العلم والحكمة .

أما قوم عاد الذين ورد ذكرهم في القرآن ، فيقول عنهم المؤلف : إن عاداً باللغة الآشورية معناها البشر العقارب ، وهم أقوام أشداء ذوو بأس سكروا جنوب الجزيرة العربية ثم انتشروا بالغزو شمالاً وفتحوا الشام والعراق ووصلوا إلى الهند وأطراف مصر .

ويقول المؤلف : إنه مما يلفت النظر وجود آلة هندية اسمها عادييات وعادى بودا وعادويتا وعادينيات وأنه قرب كلكتا قبيلة

اسمها عادى وأسى تسكن التلال .

ويرى المؤلف أن إرم ذات العماد ليس لها مدينة ، بل هي اسم لقبيلة من قوم عاد يعود أصلها لبطون آرامية .. وأن عادا نفسها سلالة آرامية .. وجعل عاد المذكورة في التوراة هي قلعة عاد جعل عاد .

والاصفهانى فى كتابه « تاريخ سنى الملوك » يقول : إن العرب العاربة عشرة : عاد وثمود وطسم وجديس وعماليق وعبييل وأميم ورهط وجاسم وقططان . والتبط من البطون الآرامية المتأخرة وهم من بقايا عاد ومثلهم قبائل جرهم وأخبار ابن قطامي وابن الكلبى أن عادا كانت تتكلم العربية .

وقال أبو عمر أن لسان عاد ونمود وشعيب ومدين عربي كله .

وروى عن على بن أبي طالب قوله : إن جرهم من بقايا عاد وتقينا من بقايا نمود .

أما آلهة عاد فكانت العقرب والنسر والعجل والصقر وقد سموا أنفسهم البشر العقارب وبلغت المؤلف النظر إلى أسماء أماكن في لبنان مثل جب عادين أو بئر عاد ومدينة عدلون قرب صور ونهر عادوتيس .

ويقول ابن خلدون أن قوم عاد وصلوا مصر واحتلوا الدلتا وبنوا مدينة أون المذكورة في التوراة .. وأنهم جاءوا مصر على

موجتين .. الموجة الأولى قبل المكسوس والموجة الثانية مع المكسوس ، ويستدل المؤلف على كلام ابن خمدون بأسماء مصرية مثل عادير ماشيد وهي قبيلة تسكن في الدلتا على شفا الصحراء ومدينة عادحو التي جاء ذكرها في البرديت . تلك بعض وقفات مع الرحلة المشيرة التي قام بها ذلك الباحث .. الدكتور بهاء الدين وردى . مع الفاظ القرآن الكريم ..

وهي إضافة جادة وعميقة إلى المكتبة القرآنية وملاحة استطلاعية في بحر اللغات القديمة تكشف وجهاً جديداً من وجود الإعجاز القرآني هو الإعجاز التاريخي .

الصانع العظيم

هل سأل أحدكم نفسه عن كمية السباكة داخل جسمه ..
مجموع الموارير داخل العمارة التي هي يدنه ، بما فيه من آلاف
الوصلات والمجاري التي يجري فيها الدم والبول والطعام
والفضلات وعوادم التنفس والمهمض .

هل يعلم أن طول موارير الدم في جسمه تبلغ وحدتها ثمانية
آلاف ميل أي أطول بكثير من المسافة بين القاهرة والخرطوم ..
موارير أكثر ليونة من الكاوتشو克 ، وأكثر متانة من الحديد ،
وأطول عمرًا من الصلب الكروم ، وفي بعضها صمامات لاتسعة
بالسير إلا في اتجاه واحد .

ثم موارير الهواء ابتداء من فتحة الأنف إلى الحلق إلى القصبة
الهوائية إلى الشعب ثم الشعيبات التي تتفرع وتتفرع وتنقسم حتى
تصل إلى أكثر من مليون غرفة هوائية في الرئتين .

ثم مواسير البول التي تجمع البول من الكليتين لتصب في
المحوض ثم الحالب ثم المثانة ثم قناة الصرف النهائية .
ثم مواسير الطعام من الفم إلى البلعوم إلى المعدة إلى الاثنا
عشر إلى الأمعاء الدقيقة .
ثم مواسير الفضلات من المصران الصاعد إلى المستعرض إلى
المابط إلى المستقيم إلى الشرج .
ثم مرات الولادة وغرفها ودهاليزها وأنابيبها .
ثم مجاري المراة وحوصلتها ومواسيرها .
ثم مجاري الليف .. ومواقوف الليف ومحطاته في الغدد
الليمفية .
وهي موارير تمر إلى جوارها الفضلات وتحميها شبكة من
الأوعية الدموية والأعصاب ، وجيوش من خلايا المقاومة تلتئم
أى ميكروب يمكن أن يتسلل من هذه الموارير في طريق خطاطي
إلى الجسم .
وأنابيب العرق .. وبلايين منها تشق الجلد وتفتح على سطحه
لترطيبه وتبرده بالعرق .
وأنابيب الدموع داخل حدقة العين تغسل العين وتبجلوها .
وأنابيب التسحيم داخل جفن العين تفرز المواد الزينة لتعطى
العين تلك اللمعة الساحرة .
هذا الكم الهائل من السباكة الفنية الدقيقة المعجزة التي تعيش

ماهنة سنة ولا تتلف .. وإذا أصاها التلف أصلحت نفسها .

نموذج من الهندسة الإلهية العظيمة التي أهداها الله للإنسان
منحة مجانية منذ ميلاده وتولى صيانتها برحمته وعنايته .
فهل أدركنا هذه النعمة وهل قدرناها حق قدرها .
وكتير من الأمراض سببها أعطال وتلفيات في هذه السباكة .
الإسهال والإمساك والغازات وتطبل البطن ، هي أعطال
وتلفيات في أنابيب صرف الفضلات والزكام انسداد في منافذ
الماء داخل الأنف .

والناسور هو ثقب في ماسورة الإخراج .
واحتباس البول والمغص الكلوى وألام الكلى سببها أعطال
في أنابيب صرف البول .

إن تركيبات «الصحي» في جسمك هي التي تصنع لك صحتك بالفعل .. بل هي صحتك ذاتها .. إن أى انقباض في ماسورة مغوية يساوى صرخة مغض ، وأى ضيق في شريان القلب التاجي يساوى ذبحه ، وأى ضيق في مرات الولادة يساوى إجهاضا وأى انسداد في قنوات فالوب يساوى عقلاً وأى انسداد في مجاري المرأة يساوى صفراء .

هذا غير بمحارى الليمف والمدم والغدد ، وهى تتبع في الجسم الآلاف ، ولكل غدة توصيلاتها وقنواتها ونظمها ودورها في

صناعة الصحة التي تتمتع بها دون أن ندرى لها عملية تركيبة
قد لا ينتبه لها فيها مئات الأجهزة.

عقدة شترك فيها مات .. بـ .. عادى واعم ..
إن الصحة التي نشعر أنها مجرد استطراد لأمر عادى واعم ..
ليست بالمرة أمراً عادياً وليس مجرد واقع مأثور ، وإنما هي
نتيجة تدبير محكم وثمرة عمليات معقدة مرسومة بعناية وقصد .
وإنما يحدث المرض حينما تختلف هذه العناية وهي قلما
تختلف .. فإذا تختلف فلتشرح لنا أسرارها .. فما عرفنا معجزة
الصحة إلا بدراسة المرض ، وما عرفنا معجزة الحياة إلا
بالموت .. وبأضدادها عرفت الأشياء .

وهذه عمارتنا .. وتلك عمارته
وهذا خلقنا .. وذاك خلقه .

١١ الله أحسن الخالقين .

١٢ حداها الله بصنعه المبهرة وأباته الخالدة في عمارة

السرى :

١٣ لمن اجتمع الإننس والجن عر، أن يأتوا بمثل هذا
ما نون بهله ». .

١٤ ينسحب على كل آية من آيات الله .. في الكتاب ..
إذاء .. أو في أنفسكم .

١٥ كبرى المعجزات .

عالم الوحشة « والغرية »

ما هو أكثر شيء يسعدك في هذه الدنيا ..?
المال .. الجاه .. النساء .. الحب .. الشهرة .. السلطة ..
تصفيق الآخرين .
إذا كنت جعلت سعادتك في هذه الأشياء فقد استودعت قلبك
الأيدي التي تخون وتغدر وأنت تتغلى عليها الشفاعة التي تنافق وتتلعون .
إذا جعلت من المال مصدر سعادتك فقد جعلتها في مالا يدوم
فالمال ينفد وبورصة الذهب والدولار لا تثبت على حال .
وإذا جعلت سعادتك في الجاه والسلطان .. فالسلطان كما
علمنا التاريخ كالأسد أنت اليوم راكبه وعدها أنت مأكوله .
وإذا جعلت سعادتك في تصفيق الآخرين فالآخرين يغيرون
آراءهم كل يوم .

بل هم اليوم أكثر نهَا وأكثر تهالكاً وأكثر تهافتًا على اللاشيء
ويقول لهم القرآن:

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفْلَا تَبْصَرُونَ ﴾ .

وفي أنفسهم وأقرب إليهم من حبل الوريد ، غاية الغايات
ومنتهى الأرب ، وقبلة المقاصد ومهوى الأفئدة ومتلقي جميع
ال المعارف .. الحق بذاته .. الله سبحانه وتعالى بنوره الأقدس .
الرحاّب الأبهى وشيم الجنة ورفيف الملائكة في نفوسهم ..
أقرب إليهم من حبل الوريد .. أقرب إلى الواحد منهم من
نطقة .

يقول الله للعارف الرباني :

لیس بینی و بینک بین .

إلى هذا المدى من القرب .. وإلى هذا المدى من اللطف ..
يبلغ إيناس الرب لعبده .. ولا غرابة .. لا تصير النفس
الإنسانية قابلة للتجليلات الأسماء الإلهية فيصبح الواحد منا رهوفاً
كما كمالاً عفواً سمعنا بصراً عليياً ..

رحيماً ودوداً كريماً حبيباً سهلاً مهيناً بليلاً ..
إلى هذا المدى يستوى الرحمن على عرش سماواتنا
الداخلية ، ويكافشنا بأنه أقرب إلينا من حبل الوريد .. وهو من
هو .. جامع الكلمات على إطلاقها .. ثم تتولى عنه معرضين
تتدافع بالأكتاف وتتسابق بالمناكب خلف كل زائل وتأله ..
ونتكلّم عن الحب .. وفي عمق نفوسنا من هو أولى بالحب كل

وإذا جعلت سعادتك في حب امرأة .. فأين هي المرأة التي لم
يُعْلَمْ ؟ وأين هو القلب الذي لم يتقلب ؟ أين نجد هذا القلب إلا
في الخيال في دواوين الشعراء الذين يقولون مالا يفعلون والذين
في كل واد يهيمون .

١٤٠ الناس مازالوا على حالم لا يرى الواحد منهم أبعد من

١٠. الوا على جاهليتهم الأولى يتدافعون بالمناكب على نفس
١١. ائس يرون حاصل الموت يحصد الرقاب من حولهم
١٢. هم يرون .

لداعي لكل هذا السباق والقتل على السلطة فلن نزداد بذلك

قوه . أطعن قبأ أنها المؤمن وأعرض عن هذه النافذة التي يختارها فيها الكل بالخلب والناب ، قل كلمتك وألزم صرفتك واعمل على شاكلتك ، وخض البحر فلن تبتل واعبر أرض الغربة والوحشة فلن تستروح فلست وحدك فآنه معك .. وأيتها كنت فهو معك .

لاتف مع الواقعين أيام فاترية المال والماه والنساء الباهرات والحب والشهوة والسلطة وسائر غرويات الدنيا . فانت غنى بما في داخلك عن كل هذا . وإنما ليكن هنك لا يكن مبلغ هنك أن عجب هذه وتكل . وإنما ليكن هنك مجموعاً على الله إملك ، حمرياً لك مطلقاً ودائماً ولدنا . وهو سبك من المرأة التي تخثارها المودة والرحمة وحسن العناشرة ،

تعلق القلب لايص إلا لواحد ، وانشغل الملة لايجوز إلا واحد هو الله وحده جامع الكمالات . إنما جعل عرش القلب لسنتى الرب عليه وحده وليس بهذه المرأة أو تلك .. الصباية لا تتلقى بالعارف الكامل .. وبهذا الملك وحده وليس لأى عابر سبيل ، والله هو أغنى الشركاء عن الشرك .. وحتى على من عرفه حتى معرفته لا يبعد غيره .

وعلينا اليوم أشد في جاهيلته وأعني في ماديه من كل ما مضى من عوالم ^{هـ} وفي أنفسكم أفلأ تتصرون ^{بـ} . في داخن الشاطئ ، والرساة وبر الأمان . سند الصوان فينا ولسنا في حاجة إلى التأمين على حياتنا في ينبع خارجي لا داعي لكل هذا الالهاث المجنون على الجميع والتملك وتركنا .. فلن نزداد بذلك أبداً .

الحب .. بل واهب الحب لكل محب ومحبوب وسر الحب في كل محب ومحبوب .. بل عين القيبة في كل ما هو قيم .. وعين الجمال في كل جميل . وتتولى مرضين نجري خلف بريق المحظيات وتنشتت وتنزوع وتعجاذبنا الغويات وتنزق إلى شبات ونحوت في وحشة وغرية ومحصلنا مما جمعناه صفر .

أَسْتَ تَقْطُعُهُ فِي صَلْكٍ ، وَتَكْفُرُهُ فِي رِزْقٍ ، وَتَعْصِيهُ فِي غُفرَانٍ لَكَ .
وَتَهْجُرُهُ فِي تَوْدِدٍ إِلَيْكَ .. وَهُوَ مَنْ هُوَ الْمُتَعَالُ ذُو الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ ..
فَأَيْنَ هُوَ مِنْ هَذِهِ وَتَلْكَ .. أَلَا يَكْفِيكَ أَنْ يَابِهَ مَفْتُوحًا أَبْدًا وَعَفْوَهُ
مَنَادٌ عَلَيْكَ دَائِنًا ؟

أَلَا يَحْرُكُ ذَلِكَ كَوَافِرَ الشَّوْقِ فِيْكَ ؟
أَلَا يَشِيرُ فِيْكَ مِنَ الْوَجْدِ مَا لَتَشِيرَهُ هَذِهِ وَتَلْكَ مِنْ أَشْبَاحِ تِرَابِيَةِ
فَانِيَةِ ؟

أَلَا تَعُودُ فَتَنَظِّرُ حَوْلَكَ بِيَصِيرَةٍ .. وَتَنَظِّرُ فِي دَاخِلِكَ بِإِلَهَامٍ ..
قَبْلَ أَنْ يَجْرِفَكَ التَّيَارُ إِلَى عَالَمِ الْوَحْشَةِ وَإِلَى الْبَحْرِ الطَّامِ الذِّي
يَتَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ ؟

أَلَا تَغْرِيكَ هَذِهِ الْكَلْمَاتُ بِلَحْظَةِ تَأْمُلٍ وَبِوَقْفَةٍ مَعَ النَّفْسِ تَعِيدُ
فِيهَا النَّظرَ .

الفجوة بيننا وبينهم

هو .. دكتوراه في الكيمياء من جامعة أسيوط .. يحمل معه
جلالة الريف وبساطته وطبيته وهي خريجة آداب قسم سياحة
تحمل معها حقيبة كريستيان ديور وتنتظر دائناً غرباً إلى باريس
لتأخذ عاداتها وقيمها ومواضاتها .. في حين هو ينظر شرقاً إلى مكة
معلق القلب والرؤاد بالكتب القدية انصراء والمداعن النبوية
وحلقات الذكر في سيدى أبو العباس .

وهو في زيارة للسويد والنرويج مدعواً في مؤتمر علمي ..
وهو يصحب زوجته في شهر عسل ..
وهما يهبطان معاً درجات الفندق الفخم في ستوكهولم .. وكلما
مر بهم نزيل أو ما برأسه في تحية .. فتضفط على ذراعه هامسة ..
- رد على التحية بإيماءة برأسك أنت الآخر .. أترى كم
هم مودبون .. تعلم .. إذا حبيتم بتحية فردوها بأحسن منها ..

أفرى النظافة حولك ، كل شيء حولك يلمع .. والأرض كأنها
 مرآة .. المواجه بالدقيقة والثانية .. الكلمة واحدة كأنها مি�ثاق ..
 لا غش ولا احتيال ولا مكر ولا تعقيد .. المرأة هنا حرة رشيدة
 مستقلة الإرادة ، تملك مفتاح عربتها وفتح شقتها وتخوض
 الحياة بلا خوف وتحتار زوجها في حرية .. وتعمل في أي مهنة
 تحب .. حارسها ضميرها وحده .. يدها مع يد زوجها على دفة
 القيادة .. لا رياضة لأحد على الآخر ولا تحكم ولا استبداد .. لها
 نصف ما يملك إذا افترقا .. هكذا يضمنون للمرأة مستقبلها هنا
 ويؤمنونها من غواائل الدهر وطغيان الرجل .. دستور الزوجية
 احترام متبادل ومساواة في الحقوق وثقة وحرية من كل طرف في
 الآخر ولاتدخل ولا فضول .. ولا مساءلة .. ولا محاكمة .. أين
 كنت بالأمس .. ولماذا جئت متاخرة ؟ تذكرة طائرتها في جيبها
 وجواز سفرها في حقيبتها .. تسافر إلى آخر الدنيا وحدها ..
 حرة .. رشيدة مستقلة .. حارسها ضميرها وهذا يكفي .. انظر
 حولك وتعلم .. هذه هي القيم التي تحتاجها في مصر .. لتصنع
 مصرًا جديدة وحضارة جديدة ومدنية جديدة هذه فرصتك
 لتفتسل من أتربة الريف وتجدد شباب عقلك .. وتنشرب هذه
 القيم المعاصرة .. لا أحب أن أصادر على تفكيرك .. ولكنني
 أطالبك فقط بإعادة النظر وعدم الرفض الفوري لأى جديد ..
 لا أحبك أن تشيح بيديك وتقول كلمتك التقليدية .. هذه دولة

الكفر .. فأين الكفر فيما ترى .. هل النظافة كفر .. هل الأمانة
 كفر .. هل الوفاء بالوعد كفر .. هل النظام كفر .. هل العلم
 المتقدم كفر .. هل الصناعة كفر ؟

ومررت امرأة بيدها كلب وأوامات برأسها في تحية فرد صاحبنا
 ب أيامة أخرى من رأسه .. فغضبت صاحبتنا على يده في حب
 وقالت وهي تلتفت نظره إلى الكلب .

- أترى أصابع الكواifer كيف صفت شعر هذا الكلب ..
 والفيونكة الحمراء الجميلة .. هل العطف على الحيوان الضعيف
 كفر .. هل رأيت المستشفى الأنثيق أمام تندق .. إنه مستشفى
 للكلاب ودار حضانة للكلاب ترك المفر .. كلبها في الصباح ثم
 تعود لتأخذه في المساء .

قال الرجل الريفي وهو يهز رأسه غير مصدق .
 - شيء عجيب .

- هل تعلم أن هناك أكثر من عشرين صنف لحوم معلبة
 للكلاب .. وأن محل يترك لك لحرية لعرضها على كلبك
 ليجرها ويختار منها ما يحب .

قال الرجل الريفي وهو مازال يهز رأسه .

- شيء عجيب .. إذا كانوا يصنعون هذا بالكلاب فماذا
 يصنعون لبني آدم .

- سوف ترى يا عزيزي .. لا تتعجل .

الحفيد إلا في مقابر تل العمارنة في تابوت سرق كل ماق فيه .. ولم
 يبق إلا الجثة ..
 قال الرجل وهو ينهد آسفاً .
 - صحيح .. هذا مؤسف .. لم يبق لنا إلا تاريخ ومعابد
 وبرديات هيروغليفية .
 ورشف الدكتور كرافت رشفة هادئة من فنجان الشاي .
 - لو كنت هنا أمس الأحد .. لسعد أبوابي بكثيراً .. فهنا
 مثل يجبان مصر كثيراً ويتسمى أخبارها .
 قال الرجل الريفي .
 - وأين هما يأتى ؟
 - هما عجوزان لطيفان .. وهما في هذه السن التي يصعب
 فيها التفاهم والتواصل بينهما وبين باقى الأسرة حتى بينها وبين
 بعضها .. وهذا انتهى بها المطاف إلى دار للمسنين .. لكل منها
 غرفة منفصلة وكل منها يقطع النهار في حل الكلمات المتقطعة
 وشرب النبيذ والاستماع إلى التلفزيون ومشاهدته .. وهذا شأن
 الكبار هنا حينما يتقدم بهم السن .
 قال الرجل الريفي في استغراب .
 - والصغرى .
 - بعد السابعة عشرة يذهب كل واحد وشأنه .. لي ثلاثة
 إخوة وأختا رابعاً تفرقوا في القارات الخمسة وتفرقت به

- إذا كان هذا مقام الكلب في الأسرة .. فماذا يكون مقام
 الأسرة في المجتمع .
 - سوف ترى بنفسك الليلة .. ألسنا مدعاون معًا إلى تلك
 العائلة السويدية ؟
 - نعم .. نعم .. لقد دعانا الدكتور كرافت على فنجان شاي
 لتحدثه عن مصر وعن أخبار مصر .. فهو عالم في المصريات كما
 تعرفين .
 - بل نريدك أن يحدثنا هو عن بلاده .. وعن المعجزة
 الأوربية .
 - نعم .. صدقت .

وفي المساء كان الدكتور كرفت يد يده ليصافحهما في حرارة
 وهو يقول :
 - أخيراً جاءت مصر إلينا .. أخيراً أصافح أحفاد
 حتشبسوت وأختاً تون يدا بيده .
 قال الرجل الريفي :
 - لأنّن فقد اختلطت الأنساب كثيراً في بلادنا يا عزيزى
 الدكتور بقدر ما تعاقب عليها من فرس وروم ومقدونيين
 وهكسوس وعرب وإنجليز وفرنسيين .. لا أظنك اليوم تجد
 حفيداً واحداً حقيقياً لحتشبسوت أو أختاً تون .. لن تجد هذا

قال الرجل الريفي وهو يقلب كفيه في حجب .

- هذا شيءٌ مؤسف فعلاً .. هذا قدره .

دراج الدكتور يسأل صاحبنا ماذَا يعني بكلمة القدر .. وقال إنه سمع الشرقيين يعتقدون كثيراً عن القدر .. ويلاحظ أنهم يدوسون هذه الكلمة في كل شيءٍ .. وهذا أنت تدوسها حتى في زوجها .. وأنجبيت ولدًا تكرس له الآن كل وقتها وتعمل مدرسة شئون الكلاب .. صدقني أنا لا أفهم ..

شئون الكلاب .. صدقني أنا لا أفهم ..

واخذ الرجل الريفي يتكلم في إسهاب عن الإيمان بالله وبالقدر .. وأن الله بيده ناصية كل المخلق وما من دابة إلا هو أخذ يناصيها .. سراء، كانت بيته أو كلباً أو حشرة .. وأنه مامن درقة تستطع إلا يعلمها .. وما من رطب ولا يابس إلا عنده في كتاب .

وقال الدكتور شاخت في بramaة « شديدة » .

- ولكن أين طر؟

- من؟

- الله الذي تقول .

- عبر بعلاقات الكرسيس وهذا يا عبد الميلاد كل عام .
ودخل الكلب وكانت حول بطنه ضمادة .
واحضنه الدكتور كرافت في حنان بالغ .. وراح يربت على رأسه ويعقبه .

- المسكين .. عملنا له بالأمس رسم قلب كهربائي وفحص بالأشعة وبالأمواج الفرق الصوتية واتضح أن عنده درجة سلطان .. وقام الجراح منذ أسبوع باستئصال الورم بنجاح .. صدقني لقد حزرت من أجله كثيراً .. ولم أذق طعم النوم منذ أيام ..

المسانر .. الأخ الأكبر تزوج من امرأة يوذبة في كمبوديا ،

والأخضر قطعت ساقه في حادث وهو يعمل بarmacan في كلكتا ،

والأخ الأزرق يشتغل في صناعة سلاح في جنوب أفريقيا .. أما الأخ قد تزوجت من فيتنامي ولم تنجي .. ثم افترقت عن زوجها .. وأنجبيت ولدًا تكرس له الآن كل وقتها وتعمل مدرسة بيانو .

حضارة لا تؤمن إلا بما ترى وتلمس وتحس وتسمع .
حضارة مادية تبدأ من المادة وتنتهي إلى المادة وتشيد من المادة
معجزات وخوارق واختراعات وسفن فضائية وقنابل وتصنع بها
الدمار والعمار .

وحضاره أخرى توافق حالة متضلعه إلى الغيب تتصنّت بالقلب
والروح على ما لا يرى وما لا يسمع .. وتعبر المادة أبداً ودائماً إلى
ماوراءها .

وسلكت الرجل الريفي ولم يجد كلاما يقوله ليعبر به الفجوة
وأخذ يعيد ما قال وكأنما يخوض نفسه .

- إنّي لا أرى غيره .. لا أرى إلا الله . سبحانه لا سواه ..
قال الدكتور كرافت .

- إنّي لا أملك إلا أن احترمك .. ولكنّي لا أفهمك
وفي ذلك المساء في الفراش كان الرجل الريفي يحدث
زوجته وهو يخطط كف بكف .

- أرأيت .. إنه لا توجد ... لقد انفرط كل شيء ..
البنت تحمل سفاحاً ، والأخوة سيفوا في أركان الأرض ليواجه
كل منهم مصيره بلا عنون وبلا سند ، والأب والأم منبوذان
يعيشان وحيدين في دار للمستهينة يم بيق إلا الكلب أقاموه صنا
بديلاً يبذلون له الود والحب حنان والعبادة التي خلت منها
المجاهدة .. ويحاولون أن يخلقوها بـ عنى والحكمة التي سلبوها كل

فيما على الدكتور شاخت أنه لا يفهم ، ولكنه قال في احترام
شديد :

- لا يمكن أن نتكلّم كلاماً أكثر وضوحاً وواقعية .. لا يمكن
أن تقول لي عن الله شيئاً ملماوساً .. صدقني أنّي في دهشة من
إيمانكم العجيب أيها المصريون .. إيمان بطول سبعة آلاف سنة ..
إنه شيء عجيب يدهشني .. منذ سبعة آلاف سنة وأنتم تبنيون
للموت ولا تعيشون للحياة ، ولكن لما بعد الحياة .. وكأنما ، أنتم
متأكدون تماماً من كل شيء لا يدهشك هذا .. من أين لكم بهذا
اليقين بأنّ بعد الموت شيء .. لكم أنتي أن أرى الله كما ترونه «

قال الرجل الريفي في بساطة :

- إنّي لا أرى غيره .. أراه في تفتح الزهرة وابتسامة الوليد
وأراه في الصواعق وأرى مشينته في حركة التاريخ ، وأرى يده في
قبضة الجاذبية التي تضمّ شمل الكون وتمسك بال مجرات وتحمل
السموات بلا عمد .. وأراه أقرب إلى من نفسي بل أقرب إلى
من نطقني ، وأراه في العماء خلف كل شيء .. في غيب الغيب ..
لابوصف ولا يحيى .. سبحانه ليس كمثله شيء .

وحاول أن يبحث عن كلمات تقول أكثر وتفصح أكثر وتجسد
أكثر .. كلمات يعبر بها الفجوة الهائلة بينه وبين مجده ولكن لم
يجد .

كانت الفجوة كبيرة .. فجوة بين حضارتين .

قالت وهي مازالت تنظر غرباً وقد أعطته ظهرها .
- بل أركان الدنيا هنا .. ولكنك ترفض أن تراها .. وأعمدة
الحياة حولك ولكنك تتذكرها .. وناظحات السحاب تنطح السماء
وتصنع الأقدار للألوف .. والعقول الإلكترونية تدير المصائر
للملائين ، ومانسيمه انحلال الأسرة هو روح الحرية ..
والغامرة .. ولكنك لا تريد أن ترى ولا تريد أن تغير من نفسك
 شيئاً .

قال وهو مازال يعطيها ظهره وينظر شرقاً .
- نسيت أن صانع كل هذا العمار .. ترك نفسه خراباً .. وأنه
يوشك أن ينتحر وأن يقتل نفسه بما صنع .. وأن عمد الدنيا في
نظرك وأركان الأرض يوشكون أن ينقضوا على بعضهم البعض
بالأسلحة الذرية والقنابل النووية .. وأنهم لوثوا من حولهم
الفضاء والماء والهواء .. كما لوثوا عقوفهم بالخمور والمخدرات ،
ولوثوا أرواحهم بالكفر والجحود .. وأن ماترينه براقاً حولك هو
الغرور ومتاع الغرور .. وخيال اللحظة .. ونشوة اللمسحة
البارقة .. واقرني التاريخ .. وانظرى خلفك .. بل تحت
قدميك .. بل في التراب تحتك .. حيث اندثرت أمم
وأمبراطوريات .. وحيث انتهى عماليق طاولوا الشمس وخرقوا
السماء .

ولكنها لم تنظر إلى وراء ، ولم تلتفت إلى التراب تحت قدميها

ـ إن كل ماتشاهدينه في الفندق من تحبات ومجاملات
وأداب مائدة وسلوك مهذب ولباقة .. كلها تعبيرات فارغة
لا تدل على شيء ولا تحتوى على مضمون .. إنها مجرد حياة
تلهم وراء متع لحظية .. ثم موت ثم تراب ثم عدم .. ثم
لامعنى .. ولا حكمة .. وإنما عبث .

ولم يعجب زوجته الكلام وأعطته ظهرها .. وقالت كالعادة :
- لا تتعجل في الحكم .. ولا تستخرج حكماً عاملاً من لقاء
عاير .. انظر حولك .. إنك في عالم كعرايس الخيال أبهة ونظافة
وأناقة وجمالاً وعلماً وصناعة »

قال في هدوء وقد أعطاها ظهره هو الآخر :
- كل هذا يمكن أن ينهض في لحظة .. حينها تنهض القيم التي
تسك به .

كل هذا يصبح مثل النّقش على الماء :
قالت في مرارة .

- وهل عندنا في مصر قيم .. هل عندنا أخلاق ؟
- صحيح لقد أصابت عدو الانتحال الكثرين في بلادنا ..
وصحيف عندنا فساد .. ولكن مازال عندنا أولو بقية من أهل
الخير يعرفون الله ويازرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقومون
الليل ويسبحون النهار .. وهؤلاء هم عمد الأرض وأركان الدنيا
يحفظ الله الدنيا من أجلهم وبدونهم لا يعود لها بقاء .

وإنما ظلت ناظرة مبهورة دائمًا إلى غرب .. على حين ظل هو
شاكراً إلى الشرق .. إلى مطلع الأنوار .. وقد أعطى كل منهم
ظهره للآخر .. وبينها خيط رفيع .. رفيع .. هو عقد زواج ..
يوشك أن ينقطع .

نهر الكوثر

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثُرَ ﴾

هذا خطاب من الله لنبيه محمد ﷺ ، وهو أيضًا خطاب من
خلاله لنا جميعًا . والكوثر هي صيغة المبالغة التي هي فوق الكثير
والأكثر فهناك الكثير ثم الأكثر ثم الكوثر وهي الغاية من الكثرة
من العطايا والمنح والمواهب والنعم التي أفالها الله على الإنسان
الكامل والتي هي في الوقت ذاته امكانية باطننة في كل إنسان
يستحقها وراثة عن الكامل إذا سار على قدمه .

والآية لها معانٌ متعددة بتنظر إلى الكمال الجسدي والكمال
النفسى والكمال الروحى الذى هو امكانية متاحة لكل إنسان إذا
اجتهد في نواله . وإذا نظرنا إلى الجسد وإلى البناء المادى
للإنسان ماذا نرى ؟ نرى خلق قد أعطى الإنسان أكثر من
سبعة أضعاف احتياجاته فهو قد أعطاه رتين مع أن بإمكانه أن

طاقات أخرى كامنة أخطر بكثير من هذه العلاقات التي دربها

بعض بريح رية واحدة وأعطيه كلبين مع أنه يماكنه أن بعض
يأكل من ثلث كلبة واحدة ، وأعطيه كبدًا ولو تليف سبعة أجزاء

من شاشة من هذا الكبد لا يستطيع أن يعيش بالباقي .. أما البلد
فقد أروع الله فيه إمكانية التبعد إلى ملاة نهاية .. أما الدم فقد

لمسها أخرى قضيب من الحديد يجرد تركيز التغريم المفترضى .
الهواء على بعد وما نعلمه من غرائب التغريم المفترضى . كلها

وألا يلتفنا من كرمات أهل الشفافية والصلاح من الأولياء . كلها

وألا يلتفنا من عقولنا ونفوسنا ، فلا غرابة

بمجرد أمثلة أخرى لطاقات كامنة في عقولنا ونفوسنا ، فلا غرابة

إذا قيل لنا إن محمد وهو الإنسان الكامل كانت لديه القدرة

على الانقضاض بالملائكة جبريل ، وأنه كان يتلقى عن ربها وحيها وأنه

أنسى به جسداً وروحها إلى بيت المقدس وعرج به إلى السورات

العل حتى يلتحم سدره المتتهوى وأشرف على قاب قوسين من لقاء

ربه . فذلك أمر لا يستغرب على من يلتحم النهاية من الكمالات

الذاتية فكان الرجل الأمين والصديق الوفي والمقاتل الشجاع

والقاضي العادل ، والمتكلم البلigh والوزير المحب والأب المحنون

، ويقول عليه النفس والأعصاب إننا نستخدم عشرة في المائة

فقط من إمكانات جهازنا العصبي .

والكلام خطير والسؤال الذي يترتب عليه . ماذا يمكن أن

يسعى الإنسان لو أنه استخدم طاقات جهازه العصبي كلها إنه

يعرف بصريح علاقا في مواجهه وقدراته الفكرية والعصبية وهذا

ـ عمل هو مازرى جابنا منه في بلوان السيرك .. وما يستطيع أن

يبيده ورجليه .. وأحياناً يأسنانه التي يجر بها أتوبيساً وهي
ـ أثلة على طاقات مادية كامنة أمكن تدريبيها ، وفي عقولنا
الإنسنة .

ـ
ـ
ـ
ـ

ـ
ـ
ـ
ـ

إذا اجتهد في تكميل ذاته .. وكل منا وارث بقدر اجتهاده ..
ألم يقل لنا العلم الثابت إن الواحد منا يعيش عشرة في المائة
من موهابته وملكاته وأن تسعين في المائة من هذه الملوكات معطل
أو كامن أو غير مكتشف .

لقد نقل الذي عنده علم من الكتاب عرش بلقيس من اليمن
إلى فلسطين في طرفة عين .. واستطاع سليمان أن بكلم النمل
والطير وأن يستمع إلى تسبيح . الجبال ، وأوقي العلاسم الذي
يحكم به مملكة الجن ويسخر به مردة الشياطين ، كما أوى ذو
القرنين الأسباب التي يفتح بها مشارق الأرض ومقاربها ، كما
أعطى عيسى القدرة على إحياء الموت وعلى شفاء العمى والبكير
والصم .

وذلك بعض الكوثر وبعض الكامن من الموهاب
والاستعدادات في الإنسان الكامل الذي خلقه الله في أحسن
تقويم ونفح فيه من روحه فأصبح قابلاً لما لا نهاية من الف giozat
الربانية ، وذلك كوثر الدنيا ، وهو غير كوثر الآخرة الذي قال
عنه النبي ﷺ إنه .. حوض من شرب منه لا يظمأ بعد شربته
أبداً وهو حوض اختص به الله مهداً وأمته وهو من الأسرار
الغيبية مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ..
فهنيئنا من ورد ذلك الحوض .. وهنيئاً للقلة المسلمة المؤمنة بما
وعدها الله ورسوله .

أما الكثرة الكثيرة التي قضت على نفسها بالحرمان بما أسدل
على عيونها من حجب البعد والغفلة وظلم الخطايا والذنوب
وركام الكبرياء والشرك والكفر فإن الله لم يغلق أمامها باب
المغفرة ولم يسد باب الرحمة وإنما فتح لها نوافذ التوبة على
صاريعها حتى غرغرة الموت .

الآ يحرك فيينا هذا الكرم .. الحب الذي ليس كمثله حب
لن Shrmer السواعد ونعمل ونجتهد ليكون لنا الحظ في ميراث
الكوثر .. بل البعض القليل من هذا الكوثر .. بل قطرة واحدة
من نهر الكوثر .
وإن نهر الكوثر ليجري فيينا .. أقرب إلينا من حبل الوريد .
وأنه ليس عنا بعيد .

وظل بذعه أراذل الكفار قرابة الألف عام ، تم استقل سفينته مع الصحبة القليلة المؤمنة وركب الطفان ، ويوسف عليه السلام صارع الفتنة والغواية في قصر العزير ، وصبر على السجن كما صبر من قبل على غدر الإخوة وعلى عذاب الجب ، حتى جاءه الحكم والملك ، وعيسي عليه السلام قال لاتبعاه : « ماجئت لأنقى سلاما بل سيفا ، ومحمد عليه الصلاة والسلام ختم النبوة بسيرة حافظة بالكتفاص والممارك والغزوات ، وكان يعبر طيب الصحراء في سبع ليال من الرزح إلى تبوك وقد جاوز السنين من العمر .

الإسلام فتنوة

هناك نوع من الناس لافتع فيه ولا ضرر منه .. نوع يعيش إلى جوار المائدة ولا يشارك في شيء .. نوع متواكل سلي لا مستمر لامبال وقد تعارفنا على أن نطلق على هذا النوع اسم « الرجل الطيب » لأنه يعيش في حاله وقد كف عن الناس خيره وشره وطوى صدره على همومه وأثر ألا يزعج أحدا .. وتصور البعض خطأ أن هذا الرجل هو نموذج المسلم التدين الصالح . وإذا كان الاستعمار قد شجع في الماضي بعض الطرف وقد فهم هؤلاء الناس الإسلام نهائا خاطئا .. فالإسلام ليس ضعفا بل قوة ويايجالية .. الإسلام ليس خنوعا وغضوضا وسلبية بل موقفا ومبادرة .. ولما رأيهم النبي عليه السلام حطم الأصنام وواجه بطنش التمرد ، وداود عليه السلام حارب جالوت وانتصر عليه ، وموسى عليه السلام واجه جهروت الفرعون وحده ، وقاد اليهود في رحلة النبه في سيناء ، ونوح عليه السلام صنع السفينة

القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير » فهو لم يحرم الضعفاء نصيبيهم من الخير ولكنه قال إن المؤمن القوى أحب إلى الله .

والقوة مطلوبة ولاشك في هذا العصر المادى النرى الذى أوشك أن يتصارع فيه العمالق .. والضعف سوف يكون مهلكاً قاضياً على أصحابه .

وفي مواجهة الصلف الاسرائيلي ومظاهرات القوة التي تباشرها إسرائيل في البر والبحر والجو .. لا يصح للعرب أن يقفوا هذا الموقف الضعيف المفكك المتهاون .. وإنما لابد من وحدة وإعداد واستعداد ، وجمع للشتمل وشحذ للهمم وتشمير للسواهد ورفع للقدرات العسكرية للذرورة .

إن مفهوم « الرجل الطيب » بمعنى الرجل الذليل المستكين ، يجب أن يشطب من القاموس العربي ، ومن القاموس الديني تماماً ، فهو ليس مفهوماً دينياً وليس مفهوماً إسلامياً ، بل هو مفهوم استعماري غسلوا به مخنا وروجوه بينما خلال سنوات الاستعباد والاحتلال .. وهو اختيار الكسالي والجبناء والضعفاء .. الجديد والجاهلية الجديدة ذات المخالف والأنىاب . وفي عصر الذئاب لا يمكن أن تكون دجاجاً وحملاناً ، والعد الذي نسير إليه سوف يكون غداً مخيكاً .. غداً لا إختيار فيه :

الطيبة .. لعلم هايل الذى رفض أن يدافع عن نفسه حينها بسط آخره قايبيل يده ليقتلته فقال الأخ الطيب :

﴿ لئن بسطت إلى يدك لقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأنك لقتلك ﴾ (٢٨ .. المائدة)

فآخر أن يموت مظلوماً على أن يدفع عن نفسه الظلم ، وترك القصاص لله .. وجعلها سنة للضعفاء من بعده .. ولكن هايل لم يرد يده عن ضعف ، بل عن قوة وكان بإمكانه أن يبطش بأخيه ، وإنما اختار التزويه في اللحظة الفاصلة فنزعه بده أن طريق دم أخيه وتلك ذروة في القوة .. فعل ذلك خوفاً من الله وليس خوفاً من أخيه ، وهو نفس المعنى المراد من كلام عيسى عليه السلام في الإنجيل .. من ضربك على خدك الأيمن فأدار له الأيسر .. فما أراد المسيح بكلامه أن يصبر المظلوم عن ضعف ، بل يصبر عن قوة ويعف عن قدرة .

وهو نفس مذهب غاندى « الاهمسا » أى عدم رد الأذى بمثله .

وقد انتصر غاندى على الإنجليز بهذا المذهب وأخرجهم من الهند .. لأن مفهوم المذهب كان القوة والقدرة وليس الاستكانة والذل .

﴿ والكافرين الغيط والعافين عن الناس ﴾ هم الأقواء وليسوا الضعفاء والحديث يوضح هذا المعنى فيقول : « المؤمن

إما أن يكون الواحد منا آكلًا أو يكون مأكلًا . ولا طريق ثالث .

إنهم في إسرائيل يردون على اللطمة بقنبة ناسفة ، وإذا أصاب رصاص القناصة فرداً واحداً منهم قاموا بتشييط الجبل كله ونسفوا المنازل وهدموا البيوت وسووها بالبولدوزرات . لم يعد قانونهم السن بالسن والعين بالعين كما تقول التوراة .. ولكن السن بطقم الأسنان كله . والعين بألف عين .. والرأس بأمة ، ويسمون ذلك استراتيجية الردع . وهم ولاشك تعلموها من النازية . وفي مواجهة هذه الاستراتيجية لا تصلح فلسفة « الرجل الطيب » ولا إدارة الخد الأيسر بعد الأيمن .

ولم يردع بغي النازية إلا بغي أشد منه ، ولن يصلح للباس الشديد إلا بأس أشد منه ، ولست أدق طبول الحرب ولا استنفر لقتال .. فالوقت غير مناسب والرياح السياسية غير مواتية ، والعرب اشتاناً لأنغير لهم ولا عزم ولا كلمة . وإنما أقول .. اجتمعوا وتشاوروا واستعدوا واحتشدوا ، اخلعوا عباءة الرجل الطيب ، انفضوا عنكم المسكنة .

ولأن يأتيكم الموت في كرامة أفضل من أن تكرهوا عليه في مذلة ، وأن الموت لآت ياسادة شتم أم أبيتم . واذكروا لي اسم زجل واحد هرب من الموت منذ آدم .

فهرس

صفحة

الدين .. ماهو ؟؟	٣
الصلوة ..	١٠
الصيام ..	١٦
الزكاة ..	٢٠
الحج ..	٢٧
كلمة التوحيد .. ماذَا تعنى ..	٥٥
الحب ..	٦٦
المرأة ..	٧٢
احترام الجسد ..	٧٧
الشريعة متى .. وكيف ؟	٨٢
عن التصوف ..	٨٩
الفردية والتفرد ..	١٠٧
الدين والعلم ..	١١٤
الملك والملكون .. وأنا ..	١٢١

صفحة

عن التطور	١٣٠
بحث في ألفاظ القرآن الكريم	١٤٠
الصانع العظيم	١٤٦
عالم الوحشة « والغرابة »	١٥١
الفجوة بيننا وبينهم	١٥٧
نهر الكوثر	١٦٩
الإسلام فتوة	١٧٤

AL-MOSTAFA.COM